الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٤ - ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No. 64.

Lundi-24-9-1934

بدل الاشتراك عن سنة

صـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العــــدد ٦٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ — ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــــدد

طغيان النيل

على الشاطئ الغريق ...

هكذا الطغيان يا نيل يجعل مصدر الحياة مورد هَلَكة، ومنبع الخيرات مغيض بَرَكة، وأصل العمارة غاية دمار وخُسر!!

هذه شواطئك الخضر يا نيل كانت بالأمس تتنفس بالنعيم، وتتدفق بالخير، وتترقرق بالجمال، فأصبحت اليوم تختنق بالأخطار، وتلتطم بالمخاوف، وتهدد الحقول الغنية الخصيبة بالفاقة والجدب؛ وهذه مدنك البيض وقُراك السُّمر كانت تتفيأ على ضفافك ظلال الخفض، وترمق من خلال النخل أمواجك المرسلة المسلسلة، وهي توقع بين القصب الألَفّ ألحان الثراء والغبطة فتعتزّ بك وتقدّس لك، فأصبحت تحشد في وجهك الجنود، وتقيم بينها وبينك السدود، وتضرع إلى الله أن يصرف عنها طغيانك وجورك! وهؤلاء أبناؤك الوادعون كانوا يتعهدون بالعمل الدائب غرسك الزكي وثمرك الغالي، فيدفعون الحشرات عن القطن، ويدرأون الطفيليات عن الذرة، ويسلسلون في الحقول نضارك الذائب، ويستقبلون بالشوق الآمل موسمك الآئب، فأصبحوا وهم من هَوْلك قائمون على رِجل، لا يستقر لهم جنان

من الروع ، ولا يطمئن بهم مجلس من الجزع ؛ ثم أسوا وهم يحشدون بقوة السلطان على جانبيك ، من أسوان إلى مصبيك ، يدافعونك مدافعة العدو ، ويكافحونك مكافحة الوباء ؛ ويكابدون في صد غارتك الجهد والجوع و (السخرة) ! ذلك والقرويات ينتظرن بالقلق الجازع الغرق المخشي ، ويرصدن الأهبة للهجرة المتوقعة ، فهن يجمعن المتاع ، ويشددن الغرائر ، ويلقين النظر الحزين على القطن المكتهل على أعواده ، والذرة الناشئ على سوقه ! وهكذا الطغيان يانيل يروع السكينة في القلب ، ويفزع العدالة في الدولة ، ويجعل سلام الأرض وسلامة الناس لمشيئة فرد ! !

* * *

وقفت منذ أيام على شاطيء من شطئانك المنكوبة ، أرسل طرفي الساهم في تيارك الجارف ، ودواماتك المدومة ، ولججك الثائرة ، ثم أرده الى السواحل الغصانة والمزارع الغرق ، وفكري بين هنا وهناك يستقبل الذكريات القديمة ، ويستخرج المشابهات الأليمة . فذكرت بهذا المنظر المحزن ترة بيني وبينك موروثة ! فقد طغيت في عام ١٨٧٨ على قريتي الصغيرة ، فاحتملتها هي ومئات من أمثالها كما يحتمل السيل الدافع أكوام الهشيم ! وكان قومي قد سمعوا بانفجارك على مقربة من سمنود ، وبيننا وبينها عشرات من الأميال ، ولكن ماءك الطاغي نحو هذا المفيض حتى انحدر فيه مجراك كله ، فلم يكن بين السماع والرؤية الا ريثما حزموا المتاع وشدوا المطايا ، ثم أدركهم فيضانك قبل الرحيل ، فتركوا الأرزاق وطلبوا النجاة . فحمل الكبارُ الصغارَ ، والطوالُ القصارَ ، والنساءُ الأطفالَ ، ومضوا يتحسسون الطرق تحت الماء ، ويتلمسون المصاعد فوق الأرض ، حتى بلغوا — وما كادوا يبلغون — ساحلَ نهر (شبين) ، وهو على بضع دقائق من القرية ، وهنالك وقف المهاجرون على الشاطئ العالى بين البحرين ، يودعون بالنظر العبران قريتهم الهالكة ، والماء يغيّب الدور ويبتلع الشجر ، حتى لم يبق ظاهراً منها إلا شرفات بيت الله ، وغرفات(١) بيت العمدة . ثم تمزقوا في البلاد يطلبون المأوى عند ذوى القربى أو عند أولى المودة ، حتى انحسر الماء فعادوا ، واستأنفوا عمارة القرية فعادت

ثم لا يزالون يؤرخون الحوادث بهذه (الغرقة) ، ويهولون في أحداث تلك الهجرة ، ويستعدون كل عام لطغيان النهر ، قبل أن يثون أوانه بشهر ! وهكذا الطغيان يا نيل يفرق الآلاف ، ويشتت الوحدة ويوهن بين الأوداء أسباب المودة !

* * *

يطغى الحكم كما طغيت يا نيل فيجرف السدود ، ويتعدى الحدود ، ويتخطى الحواجز . ثم يدور بالتجسس ، ويفور بالارهاب ، ويقذف بالتهم ، ويسخر قوى الدولة وموارد الأمة ومرافق الناس لسلطان أمره وطماح نفسه ونفاذ حكمه . وأصل الطاغية كان مثلك يا نيل فياض اليد فقدسه الناس ، جارف التيار فاتبعه الشعب ؛ ثم ناصرته شهوة الخاصة ، وساعدته غفلة العامة ، فرد أهواء النفوس الى هواه ، وشورى العقول الى رأيه ، وحدود القوانين الى إرادته ، وسطوة الجماعة الى يده ، ثم تفيض هذه القوى المتجمعة عن طاقة الفرد فيطغى ، ويزيد السلطان المفرط على غرور الانسان فيتأله ، ويومئذ لا تسأل عن حدود الله كيف تطمس ، ولا عن رسوم العدل كيف تدرس ، ولا عن حقوق الناس كيف تسفه ، ولا عن نظام الأمر كيف يتبدد ، ولا عن جموح الأثرة كيف يبغى ويتحكم .

وهكذا الطغيان يا نيل يعطل منابع الخير ، ويبدل طبائع الفطرة ، ويقتل مواهب العقل ، ويغمر بالظلام آثار العلم ودلائل العقل وشواهد الكفاية .

* * *

ويطغى الأدب كما طغيت يا نيل فلا يكترث للقواعد ، ولا يعوج بالأصول ، ولا يحفل بالمنطق ، ولا يأبه للخلق ؛ ثم يرغى بالبذاء ، ويزبد بالهراء ، ويطفح باللغو . وكان الأدب الطاغي مثلك يانيل عذب الشمائل ، سهل الشريعة ، فروى الناس من نبعه ، وبردت أكبادهم على نداه . ثم انتكس المجتمع ، وانقلبت الأوضاع ، وفسدت المقاييس ، واستفاضت الدعوى ، وتبجح الغرور ، واستبهم الأمر ، فرأى سلاطة اللسان أجدى عليه من براعة الذهن ، والتواء الفكر أنفع له من سلامة القياس ، ولؤم الوقيعة أشد لسلطانه من كرم النفس ، وشهوة الجدل أقرب الى قلبه من حب الحقيقة . وفي العهود التي تسطو فيها اليد ويستخذي القانون ، يتسلط فيها اللسان ويستكين المنطق ! ثم يمكن لمثل هذا الطغيان تكرم الأدباء عن مقام المسافهة ، ضناً بأخلاقهم على الغمز ، وباحساسهم على المضاضة . وفي التاريخ السياسي والأدبي يا نيل أمثال وأشباه ! ولكنها تنحسر كلها عن جوهر الحق ، ومحض الخير ، ولباب الجمال ، كما تنحسر أنت عن هذه السواحل والجزر والقرى ، بحكم الطبيعة ومشيئة الله !

احمد حسن الزيات

---

(١) الغرفات جمع هي الحجرات العليا من البيت

استنوق الجمـــل . . .

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال الشاب : لا قِبَل لي بهذا التعب المُعنِّي الذي يسمّونه « الزواج » فما هو إلا بيت ثقله على شيئين : على الأرض ، وعلى نفسي ؛ وامرأة همها في موضعين : في دارها ، وفي قلبي ؛ وما هو إلا أطفال يلزمونني عمل الأيدي الكثيرة من حيث لا أملك إلا يدين اثنتين ، وأتحمل فيهم رَهقاً شديداً كأنما أبنيهم بأيامي ، وأجمع هموم رؤوسهم كلها في رأس واحد هو رأسي أنا ؛ يُولَد كلٌّ منهم بمعدة تهضم لتوّها وساعتها ، ثم لا شيء معها من يد أو رجل أو عقل. إلا هو عاجز لا يستقلّ ، متخاذل لا يطيق ولا يقدر .

قال : وإذا كان أول الزواج أيْ عَسَلُهُ وحَلْواه أنه امرأة تُذهب عُزوبتي — فأنا وأمثالي ما نزال في عسل وحلوى ؛ ولكل وقت زواج ، ولكل عصر أفكار ، وما أسخف الليالي إذا هي ترادفت على ضرب واحد من أحلامها ، فهذا يجعل النوم حكماً بالسجن عشر ساعات . . . !

قال : وإذا أردت أن تستكشف القصة فاعلم أننا نحن العزّاب قوم كرجال الفن ؛ رذيلتهم فنّيَّة ؛ وفضيلتهم فنّيَّة ، فتلك وهذه بسبيل ؛ وكل شيء في الفن هو لموضعه منه لا من غيره ؛ فاذا قلت : هذا خالٍ من الفضيلة عار من الأدب ، وعِبْتَ الفن لذلك — فما هو إلا كعيبك وجه المرأة الجميلة لأنه خالٍ من لحية ..! هات الظلام وسواده ، فانه لون كالنور وإشراقه ، لابدّ من كليهما ؛ إذ المعنى الفنيُّ في تناسب الأشياء لا في الأشياء ذاتها ؛ ويد الفنّيِّ كيد الغنيّ ؛ هذه لا يقع فيها الذهب إلا ليتعدد ثم يتعدد ؛ وتلك لا تقع فيها المرأة إلا لتتعدد ثم تتعدد ؛ وفي كل دينار قوة جديدة ، وفي كل امرأة فنّ جديد .

قال : ومذهبنا في الحياة أن نستمتع بها ضروباً وأفانين ؛ من أطاق أنواعاً لم يقتصر على نوعين ، ومن قدر على نوعين لم يرض الواحد ؛ ولو أن زوجة كانت من أشعة الكواكب أو من قطرات الندى لثقل منها على حياتنا ما يثقل من الحديد والصوّان ؛ إذ هي لا تلد أشعة كواكب ولا قطراتِ ندى ، وحسب الجسد برأس واحد حملاً .

قال : ومن الذي تعرض عليه الحياة سلامها وتحياتها وأشواقها في مثل رسالة غرام ثم يدع هذا ويسألها غضبها وخصامها ولجاجها في مثل قضية من قضايا المحاكم ، كل ورقة فيها تلد ورقة . . !

ثم قال الشاب : لا تحسبنّ أن المرأة هي السافرة عندنا ، ولكنّ اللذة هي السافرة ؛ وما أحكم الشرع ! أقول لك وأنا محام يقرر الحقيقة : — ما أحكم الشرع الذي لم يُرخِّص في كشف وجه المرأة إلا لضرورة ، فان الواقع في الحياة أن هذا الكشف كثيراً ما يكون كنقْب اللص على ما وراء النقب ؛ وإذا كسر ما فوق القُفل من الخزانة المكتنز فيها الذهب والجوهر فالباب الحديد كله سخرية وهزؤ من بعد . . !

* * *

هذه عقلية شابّ محامٍ طوى عقلَه على الكتب القانونية وطوى قلبه على مثلها من غير القانونية . وليس يمترى أحد في أنها عقلية السواد من شبابنا المثقف الذي لبس الجلد الأوربي . ومن البلاء على هذا الشرق أنه مابرح يناهض المستعمرين ويواثبهم غافلاً عن معانيهم الاستعمارية التي تناهضه وتواثبه ، جاهلاً أن أوربا تستعمر بالمذاهب العلمية كما تستعمر بالوسائل الحربية ؛ وتسوق الأسطول والجيش ؛ والكتاب والأستاذ ، واللذة والاستمتاع ، والمرأة والحب . ولو أن عدواً رماك بالنار فاستطارت في ثيابك أو متاعك لما دخلك الشك أن عدوك هو النار حتى تفرغ من أمرها . فكيف لعمرى غفل الشرقيون عن أخلاق ناريّة حمراء يأكلهم بها المستعمرون أكلاً كأنما ينضجونهم عليها ليكونوا أسهل مساغاً ، وألين أخذا ، وأسرع في الهضم .

لم أفهم أنا من كلام صاحبنا الشاب ومعانيه إلا أن أوربا في أعصابه ، وأما مصر ونساؤها ورجالها فعلى طرف لسانه لا تكون إلا صَيْحة ، وليس بينه وبينها في الحياة عمل إلا من ناحية لذته بها ، لا من ناحية فائدتها منه .

وتلك المعاني كلها مشتق بعضها من بعض ، ومرجعها إلى

أصل واحد ، كالأمراض التى تبتلي الجسم يُمَهِّد شيء منها لشيء ، ما دامت طبيعة هذا الجسم زائغة أو مختلة ، أو متراجعة إلى الضعف ، أو ذاهبة إلى الموت .

وأولئك شبان وقف بهم الشباب موقفَ بلادة ، فلا يخطو الى الرجولة ، ولا يكمل بنموّه الاجتماعى كما يكمل الرجل الوطنى ، فمن ثمّ يكون خوّاراً لا يستطيع أن يحمل أثقالا مع أثقاله ويستوطىء العجز والخمول فلا يكون إلا قاعد الهمة رِخو العزيمة ، قد استنام الى أسباب عجزه وتخاذله ، ولا يكون فى بعض الاعتبار إلا كالمريض يعيش بمرضه حميلةً على ذويه ضُجَعةً لا يمشى ، نُومَةً لا ينهض ، مستريحاً لا يعمل .

وبهذه الكسلة الاجتماعية فى الشبان يبدأ الشعب يتحول من داخله فينصرف عن فضائله ويتخذ فى مكانها فضائل استعارة يقلّد فيها قوما غير قومه ، ويجلبها لبيئة غير بيئته ، ويقسرها على أن تصلح له وهى فساد ، ويُكْرِهها على أن تنفعه وهى ضرر ، وتلك حالة يغامر فيها الشعب بكيانه فلا تلبث أن تَصْدَعه وتُفَرّقه .

ولو أن فى السحاب مطرا وغيثا لما كان له فى كل ساعة لون مصبوغ ، ولو أن فى الشباب دينا لما صبغته تلك الاخلاق الفاسدة ، وما ذهاب الحارس عن مكان إلا دعوة للّصوص اليه ، وهل كان الدين إلا واجبات وتبعات وقيودا يراد من جميعها إعداد الانسان لأمثالها فى الاجتماع ، حتى يقر فى إنسانيته الصحيحة على النحو الذى يصلح له منفرداً ويصلح له مجتمعاً ؟ فليست الزوجة وحدها هى التى خسرت الشاب بل خسره معها الوطن والدين والفضيلة جميعا ، وبهذا انعكس وضعه من الجماعة ، فوجب فى رأيه أن تُسخَّر الجماعة له وأن يستقل هو بنفسه . وبهذا العكس وهذا السقوط وهذا الاستمتاع الذى يجد سعادته فى نفسه أصبح أولئك الشبان كأنما حقهم على المجتمع أن يقدم لهم بغايا لا زوجات . . . . بغايا حتى من الزوجات . . . !

قَبَّحَ الله عصرا يجهل الشاب فيه أن الرجل والمرأة فى الوطن كلمتان تفسر الانسانية إحداهما بالأخرى تفسيرا إنسانيا دينيا بالواجبات والقيود والأحمال ، لا بالأهواء والشهوات والانطلاق ، كما تفسّر الحيوانيةُ الذكر والأنثى .

والنفس الدنيئة أو المنحطة فى أخلاقها ومنازعها من الحياة لا تكون إلا دنيئة أو منحطة فى أحلامها وأخيلتها الروحية ، دنيئة كذلك فى طاعتها إن قضت عليها الحياة بوضع الخضوع ، دنيئة فى حكمها إن قضت لها الحياة بمنزلة من السلطة . ولو تنبهت الحكومة لطردت من عملها كل موظف غير متأهل ، فانها إنما تستعمل شرا لا رجلا يمنع الشر ، وكل شاب تلك حاله هو حادثة تَرْتَدِف الحوادث وتستلزمها ، وما يأتى السوء إلا بمثله أو بأسوأ منه .

* * *

ليس للزواج معنى إلا إقرار طبيعة الرجل وطبيعة المرأة فى طبيعة ثالثة تقوم بالأثنتين معا ، وهى طبيعة الشعب . فمن سقوط النفس ولؤمها ودناءتها أن يفرّ الشاب القوى من تبعة الرجولة ، فلا يحمل ما حمل أبوه من واجبات الانسانية ، ولا يقيم لوطنه جانبا من بناء الحياة فى نفسه وزوجه وولده ، بل يذهب يجعل حظ نفسه فوق نفسه وفوق الانسانية والفضيلة والوطن جميعا ، ولا يعرف أن انفلاته من واجبات الزواج هو إضعاف فى طبيعته لمعنى الاخلاص الثابت ، والصبر الدائب ، والعطف الجميل فى أى أسبابها عرضت .

ومن فُسولة الطبع ولؤمه ودناءته أن يهرب هذا الجندى من ميدانه الذى فرضت عليه الطبيعة الفاضلة أن يجاهد فيه لأداء واجبه الطبيعى متعللا لفراره المخزى بمشقة هذا الواجب وما عسى أن يعانى فيه كما يحتج الجبان بخوف الهلاك وعناء الحرب .

ومن سقوط النفس أن يرضى الشبان كساد الفتيات وَبَوارُهن على الوطن ، وأن يتواطأوا على نبذ هذه الأحمال وإلقائها فى طرق الحياة وتركها لمقاديرها المجهولة كأنهم أصلحهم الله لا يعلمون أن ذلك يضيع بأخواتهم بين الفتيات ، ويضيع بوطنهم فى أمهات الجيل المقبل ، ويضيع بالفضيلة فى تركهم حمايتها وتخليهم عن حمل واجباتها وهمومها السامية . إن الجمل اذا اسْتَنْوَق تخنث ولان وخضع ، ولكنه يحمل ، وهؤلاء إذا استنوقوا تخنثوا ولانوا وخضعوا وأبوا أن يحملوا .

ومن سقوط النفس فى الرجل النِّكْس العاجز المقصّر أن يحتج لعزوبته بعلمه وجهل الفتيات ؛ أو تمدنه وزعمه أنهن

لم يبلغن مبلغ الأوربية ، ولايدرى هذا المنحط النفس أن الزواج فى معناه الانسانى الاجتماعى هو الشكل الآخر للاقتراع العسكرى ، كلاهما واجب حَتْمٌ لايعتذر منه إلا بأعذار معيّنة ، وماعداها فجبن وسقوط وانخذال ولعنة على الرجولة .

ومن سقوط النفس أن يَغْنَى الشابُّ عن الزواج لفجوره فيقره ويُمكن له ، وكأنه لايعلم أنه بذلك يحطم نفسين ، ويحدث جريمتين ، ويجعل نفسه على الدنيا لعنتين .

ومن سقوط النفس أن يَغْتَرَّ الشاب فتاةً حتى إذا وافق غِرَّتها مكر بها وتركها بعد أن يُلبسها عارها الأبدى ؛ فما يحمل هذا الشاب إلا نفس لص خبيث فاتك ، هو أبداً عند من يسرقهم فى باب الخسائر والنكبات ، لا فى باب الربح والمكسب ؛ وعند المجتمع فى باب الفساد والشر ، لافى باب المصلحة والخير ؛ وعند نفسه فى باب الجريمة والسرقة ، لا فى باب العمل والشرف .

* * *

فسقوط النفس وانحطاطها هو وحده نكبة الزواج فى أصلها وفروعها الكثيرة التى منها المغالاة والشطط فى المهور ، ومنها بحث الشاب عن الزوجة الغنيــة وإهمال ذات الدّين والأصل الكريم لفقرها ، ومنها ابتغاء الزوجة رجلاً ذا جاه أو ثراء وعزوفها عن الفاضل ذى الكفاف أو اليسير على غنيٍّ فى رجولته وفضائله ، كأنما هو زواج الدينار بالسبيكة ، والسبيكة بالدينار ، وكأن الطبيعة قد ابتليت هى أيضاً بالسقوط ، فأصبحت تعتبر الغنى والفقر ، فتجعل فى دم أولاد الأغنياء روح الذهب واللؤلؤ والماس ، وتُلقى فى دم أولاد الفقراء روح النحاس والخشب والحجارة . . . على حين أن الجميــع مستيقنون لايتدافع اثنان منهم فى أن الطبيعة لاتبالى إلا بوراثة الآداب والطباع .

وأعظم أسباب هذا السقوط فى رأيى هو ضعف التربية الدينية فى الجنسين ، وخاصة الشبان ؛ ظناً من الناس أن الدين شأن زائد على الحياة ، مع أنه هو لا غيره نظام هذه الحيــاة وقوامها فى كل مايتصل منها بالنفس . وليست المدنيـــــة الصحيحة كما يحسب المفتونون هى نوع المعيشة للحياة ومادتها ، بل نوع العقيدة بالحياة ومعانيها . والى هذا ترمى كل مبادىء الاسلام ؛ فان هذا الدين القوى الانسانىّ لايعبأ بزخارف كهذه التى تتلبس بها المدنيــة الأوربية القائمة على الاستمتاع وفنون اللذات وانطلاق الحرية بين الجنسين ؛ فهذا بعينه هو التحطيم الانسانى الذى ينتهى بتهدُّم تلك المدنية وخرابها ؛ وإنما يعبأ الاسلام بالعقيدة التى تنظم الحياة تنظيماً صحيحاً متساوقاً وافياً بالمنفعة ، قائماً بالفضيلة ، بعيداً من الخلط والفوضى .

ويقابل ضعف التربية الدينية مظهر آخر هو سبب من أكبر أسباب السقوط ، وهو ضعف التربية الاجتماعية فى المدرسـة ؛ وإلى هذا الضعف يرجع سبب آخر هو تخنُّث الطباع واسترسالها الى الدعة والراحة ، وفرارها من حمل التبعة « المسئولية » التى هى دائماً أساس كل شخصية قائمة فى موضعها الاجتماعى .

وبذلك الضعف وذلك السقوط وُضعت المرأةُ البغىّ العاهرة فى الموضع الطبيعى للأم ، ونزل الرجل السافل المنحط فى المكان الطبيعى للأب ، وتحللت قوى الوطن بانحراف عنصريه المعظيمين عن طبيعتهما ، وَجعلت فضيلةُ الفتيات المسكينات تتأكَّلُ من طول ماأُهمِلَتْ ، وأخذ سوسُ الدم يتركها فضائل نخرة

ولا عاصم ولا دافع إلا قوة القانون وسطوته ، مادامت الفضيلة فى حكم الناس وتصريفهم قد تركت مكانها للقوانين ، ومادامت قوة النفس قد أخلَتْ موضعها للقوة التنفيذية .

لقد قُتلتْ رُوحيّة الزواج ، وهى على كل حال جريمة قتل ، فمن القاتل ياصاحبنا المحامى ؟

قال الشاب : هو كل رجل عَزَب

قلت : فما عقابه ؟

فسكَتَ ولم يَرْجِعْ إلىَّ جواباً

قلت : كأنى بك قد تأهَّلْتَ وَخلاكَ ذمٌّ . . فما عقابه ؟

قال : إلى أن تبلغ الحكومة أو أن تعاقب هؤلاء العزّاب ، فليعاقبهم الشعب بتسميتهم أرامل الحكومة . . . واحدهم : رجلٌ أرملة حكومة . . .

ثم قال : اللهمّ يسرها ولا تجعلنى رجلاً بغلطتين : غلطة فى نساء الأمة ، وغلطة فى ألفاظ اللغة .

طنطا مصطفى صادق الرافعى

انقلاب عظيم

فى السياسة الدولية

روسيا البلشفية فى عصبة الامم

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تجوز العلائق الدولية فى تلك الآونة أعظم انقلاب عرفته منذ الحرب الكبرى ، وتستعد عصبة الأمم لاستقبال أعظم حادث عرفته فى تاريخها ؛ فمنذ أشهر يجرى الحديث بأن روسيا السوفيتية ستدعى إلى الالتحاق بعصبة الأمم ، وستغدو عما قريب عضواً فيها ، وتتمتع بكرسى دائم فى مجلسها . وقد كان ذلك مثار دهشة وريب ممن يعرفون ظروف روسيا السوفيتية ، ونزوعها إلى التباعد عن الدول الغربية ، وما تقضى به طبيعة نظمها من مخاصمة الحكومات « الرأسمالية » ، ومناوأتها بكل الوسائل الخفية ، والعمل على هدمها وهدم النظم التى تحميها ، وإضرام نار « الثورة العالمية » . وقد كان للبلاشفة فى عصبة الأمم منذ قيامها رأى يناقض ما يرونه اليوم كل المناقضة ؛ فقد كانت فى نظرهم عصابة من الدول الرأسمالية تحركها هذه الدول وتوجهها كيف شاءت ، وهيئة استعمارية منافقة تعمل من وراء ستار لتحقيق غايات الاستعمار الغربى ، وأداة لتمكين نير الأمم القوية الغالبة من أعناق الأمم الضعيفة المغلوبة ؛ وكانت الحوادث تؤيد كثيراً من هذه الريب الظنون ، فلم تر الأمم الضعيفة ولا سيما الأمم الشرقية شيئا من الأنصاف على يد عصبة جنيف ، بل ابتدعت لها نظام الانتدابات أو الحماية المقنعة لتسبغ على استعبادها صفة مشروعة ، ولم تحاول مرة أن تحد من مزاعم الدول الاستعمارية أو أطماعها — وهذه الدول هى بعينها التى تسيطر على مجلس العصبة — ولم تجرؤ مرة على أن تصدر فى أى المسائل التى طرحت أمامها أى قرار يناقض آراء هذه الدول أو غاياتها ، ولا زلنا نذكر موقفها من النزاع بين تركيا وانكلترا على كردستان ، والنزاع بين الصين واليابان على منشوريا ، وخذلانها حينما احتلت إيطاليا كورفو ، وتحاملها فيما اقتضته من العراق شرطاً لالتحاقها بالعصبة ، وموقفها من أمانى فلسطين وسوريا ؛ ولا زلنا نذكر بالأخص موقفها العقيم من مسألة نزع السلاح وفشلها الذريع فى معالجتها ؛ وسواء أكانت روسيا السوفيتية مخلصة فى رأيها بالنسبة لعصبة الأمم أم كانت تمليه بواعث السياسة فقط ، فان العصبة لم تحقق خلال هذه الأعوام العديدة من حياتها شيئاً مما علق عليها من الآمال فى إنصاف الشعوب المظلومة أو تخفيف الخصومات القومية أو توطيد دعائم السلام .

والآن ماذا حدث ؟ لقد تطورت العلائق الدولية خلال الأعوام الأخيرة تطوراً سريعاً مدهشاً ؛ وأخذت روسيا تخفف من خصومتها للدول الغربية شيئاً فشيئاً ، وأخذت الدول الغربية فى التقرب من حكومة موسكو البلشفية ، بعد ما لبثت أعواماً تحاول القضاء عليها ، وتحشد لمناوأتها كل ما استطاعت من القوى الخفية والظاهرة ؛ وعاد عهد التوزان الأوربى القديم وعهد المعاهدات السرية والمحالفات السياسية والعسكرية ، وغاض ذلك الأفق المصطنع الذى ساد فيه حديث السلامُ والتضامن الدولى مدى حين . وقد كان من الطبيعى أن يعتبر التحاق روسيا بعصبة الأمم عاملاً فى صفاء الأفق الدولى ، وتعضيد قضية السلام ، لأن تباعدها عن الدول الغربية كان عقبة دائمة فى سبيل تقدم التفاهم الدولى واستقرار العلائق الدولية ، وعدم اعترافها بالعصبة يعرض جهودها فى سبيل السلام للأنهيار : هذا على الأقل ما كان يتردد فى دوائر جنيف كلما حبط مسعى فى سبيل التفاهم أو مجهود فى سبيل نزع السلاح . ولكن التحاق روسيا اليوم بعصبة الأمم يدلى بمعان أخرى . وروسيا لم تغير رأيها فى العصبة ولا فى الدول « الرأسمالية » التى تتكون منها ؛ ولكن روسيا اليوم تعلق على هذا الانضمام آمالاً كبيرة وترى أنه يحقق لها من المصالح مالم تحققه سياسة القطيعة والعزلة ، والسياسة الغربية التى تسعى منذ حين لتحقيق هذا الانضمام تحاول أن تقنعنا بأنه يزيد العصبة قوة ويزيد كلمة أوربا توحيداً ، ويقرب أمد التفاهم فى مسألة نزع السلاح ، ويعاون على استقرار السلم فى أوربا ؛ ولكن الحقيقة أن هذه النظرية القديمة قد تطورت اليوم ، وما ترشيح روسيا لدخول العصبة الا نتيجة لسياسة التوزان الأوربى الجديدة التى ظهرت

بوادرها قوية منذ قيام الحركة الوطنية الأشتراكية فى ألمانيا وظهورها بمظهر المهدد لسلام أوربا ، وفشل مفاوضات نزع السلاح وعود فرنسا صراحة إلى السياسة القومية القديمة بحجة الدفاع عن نفسها أمام الخطر الألمانى . ومنذ عامين ونحن نشهد نتائج هذا التطور الجديد ، فى وقوع الجفاء بين ألمانيا وروسيا أولاً ، ثم انتهاز فرنسا لهذه الفرصة وتقربها من روسيا ، وتفاهم الدولتين على إحياء التحالف الفرنسى الروسى القديم الذى كان قائماً قبل الحرب ، ثم مساعى السياسة الفرنسية المتواصلة فى جمع كلمة دول أوربا الشرقية حولها فى كتلة واحدة تخاصم ألمانيا جميعاً ، وحملها حليفاتها دول الاتفاق الصغير على الاعتراف بروسيا السوفيتية ، وسعيها أخيراً فى ضم روسيا السوفيتية إلى عصبة جنيف .

ولروسيا صلة قديمة بعصبة الأمم وإن لم تكن من أعضائها ، فقد اشتركت فى لجنة نزع السلاح ومؤتمراته بصفة رسمية منذ سنة ١٩٢٥ ، و قدمت اليها عدة مشاريع لنزع السلاح كانت جميعها مثار البحث والمناقشة ولكنها رفضت جميعا ، وكانت السياسة الروسية خلال هذه الأعوام تثابر على خصومتها لعصبة الأمم وعلى الطعن فيها وفى نزاهة مقاصدها ، وتتخذ من فشل مؤتمر نزع السلاح دليلا على نفاق الدول الغربية وتمسكها بسياسة الحرب القديمة ، وبالأخص على ائتمارها بروسيا السوفيتية . أما اليوم فان روسيا لا تأبى التفاهم مع الدول الغربيـة والأندماج فى فى عصبة جنيف . ووراء هذا التطور الخطير فى سياسة البلاشفة عاملان جوهريان : الأول حوادث الشرق الأقصى ، والثانى موقف الدول الغربية من روسيا السوفيتية ، فأما فى الشرق الأقصى حيث تسيطر روسيا على أراض ومصالح عظيمة ، فقد نشط الاستعمار اليابانى فى الأيام الأخيرة نشاطا عظيما وانتزع إقليم منشوريا من الصين ، ولم تحفل اليابان باحتجاج الدول الغربية أو تدخل عصبة الأمم ، وآثرت أن تنسحب من العصبة لكى تكون مطلقة اليدين فى تنفيذ برنامجها الاستعمارى ، ولم تحجم عن أن تصرح بأنها تعتبر الصين ميدان نشاطها وتوسعها دون غيرها من دول الغرب ، وأنها ستقاوم كل محاولة جديدة تقوم بها الدول الغربية لتوسيع نفوذها أو مصالحها فى الصين ، ولما كانت روسيا تجاور اليابان فى الشرق الأقصى فى أكثر من منطقة ، فان هذه السياسة اليابانية الجديدة التى تؤازرها عسكرية قوية تهدد أملاكها ومصالحها أعظم تهديد ، وروسيا تريد من أجل ذلك أن تصفى خصومتها مع الدول الغربية لكى تستطيع أن تتفرغ لمقاومة هذا الخطر . وأما عن موقف الدول الغربية إزاء روسيا السوفيتية ، فان هذه الدول قد نبذت خصومتها المطلقة القديمة لروسيا بعد ما اقتنعت بأنه يستحيل عليها أن تسحق الثورة البلشفية ، وبعد ما تطورت البلشفية ذاتها وتركت كثيراً من تطرفها القديم وآثرت جانب الاعتدال ، وأصبحت روسيا تميل الى العود إلى حظيرة أوربا القديمة والتفاهم مع الدول الغربية وإعطاء بعض الضمانات السياسية والاقتصادية ، وقد كانت السياسة الفرنسية روح هذه التطور كما بينا لأن فرنسا أشد الدول اهتماما باكتساب تلك القوة العظيمة فى شرق أوربا ، لتعود كما كانت قبل الحرب مصدرا للخطر على ألمانيا يزعجها ويشغلها .

وقد نجحت السياسة الفرنسية فى إقناع انكلترا وإيطاليا بتعضيد التحاق روسيا بالعصبة ، وهذه الدول هى التى تسيطر على مجلس العصبة (بعد انسحاب اليابان وألمانيا) وجرت مفاوضات تمهيدية بين فرنسا ومعظم الدول المنضمة الى العصبة لتوافق على قبول روسيا ، واستطاعت أن تحقق الاصوات اللازمة لذلك ، ويشترط لقبول الدولة المرشحة أن يؤيد قبولها ثلثا أصوات الجمعية العمومية واليك ما ورد فى ميثاق العصبة بخصوص ذلك .

« كل دولة ، أوملك مستقل (دومنيون) أو مستعمرة تحكم نفسها حرة لم يرد اسمها فى الملحق (ملحق الدول المنضمة) تستطيع أن تغدو عضوا فى العصبة اذا وافق على دخولها ثلثا الجمعية العمومية بشرط أن تقدم الضمانات اللازمة على إخلاص مقاصدها وعلى مراعاة تعهداتها الدوليـة ، وأن تقبل القواعد التى تقررها العصبة بخصوص القوات والتسليحات العسكرية والبحرية والجوية » (المادة الاولى الفقرة الثانية)

« تتألف الجمعية العمومية من ممثلى أعضاء العصبة ، وتجتمع فى أوقات معينة أو فى أى وقت آخر إذا اقتضت الظروف ذلك فى مركز العصبة أو فى أى محل آخر يختار لذلك ، وتختص الجمعية بالنظر فى كل مسألة تدخل فى دائرة نشاط العصبة أو تتعلق بسلام العالم ، ولا يجوز لأى عضو فى العصبة أن يختار لتمثيله فى الجمعية أكثر من ثلاثة مندوبين ولا يحق له أكثر من صوت » (المادة الرابعة)

وأما عن مجلس العصبة فقد ورد فى الميثاق ما يأتى : « يتكون المجلس من ممثلى الدول الكبرى المتحالفة والمشتركة ، وكذلك من ممثلى أربعة أخر من أعضاء العصبة . وهؤلاء الأربعة تختارهم الجمعية حسب رغبتها وفى الوقت الذى تختاره لذلك . . . ويستطيع المجلس بموافقة أغلبية الجمعية أن يعين أعضاء آخرين من أعضاء العصبة يكون لهم كرسى دائم فى المجلس ، ويستطيع بنفس الطريقة أن يزيد فى عدد أعضاء العصبة الذين تختارهم الجمعية للمثول فى المجلس» (المادة الرابعة فقرة أولى وثانية) .

أوردنا هذه النصوص لنبين الاجراءات اللازمة لالتحاق دولة ما بالعصبة ، ثم لنبين أهمية الكرسى الدائم فى المجلس ، ذلك أن روسيا مرشحة للفوز بكرسى دائم فى المجلس الى جانب باقى الدول العظمى ، وقد تمت الاجراءات الخاصة بترشيح روسيا فى الجمعية العمومية ، وحصلت روسيا على أكثر من ثلثى أصوات الجمعية ، ولم يعارض فى قبولها سوى ثلاث دول أو أربع هى سويسرا وهولندا والأرجنتين وبلجيكا ، وعقب ذلك دعوة العصبة لروسيا للانضمام اليها وقبول روسيا لهذه الدعوة ؛ وبذا تمت الاجراءات وغدت روسيا عضواً فى عصبة الأمم ، أو بعبارة أخرى فى الهيئة التى شد ما خاصمتها وحملت عليها ، ومما يلفت النظر أن هذه الاجراءات تجرى وروسيا بعيدة عنها لا تحرك ساكناً ولا تصرح بشىء ولا تعلق صحفها بكلمة ، ولتفينوف المشرف على الشئون الخارجية الروسية يقيم فى أحد مصايف فرنسا الجنوبية . ذلك أن هذه الحركة كلها من صنع فرنسا وهى التى تحمل كل أعبائها وتسهر على تنفيذها ، وقد جرت جميع المفاوضات بشأنها وراء الستار مما أدى الى احتجاج بعض أعضاء العصبة ، فقد حمل مستر دى فاليرا ممثل إرلندة على هذه السرية ، ونوه بما فيها من الشذوذ . ولكن كل شىء يسير مع ذلك وفقاً للبرنامج المرسوم .

ومن المعروف أن دخول تركيا فى العصبة انما هو نتيجة لدخول روسيا فيها . وقد كانت تركيا تحذو حذو حليفتها الكبيرة فى موقفها إزاء العصبة وتنظر اليها بنفس نظرتها ، وهى الآن تسير وراءها فى سياستها الجديدة .

***

ولهذا التطور الذى انتهى بأقبال روسيا على عصبة الأمم واندماجها فى زمرة الدول الغربية مغزى عظيم فيما يتعلق بمصاير روسيا البلشفية ذاتها ، فقد كان شعار موسكو منذ ظفر البلشفية فى سنة ١٩١٧ ، خصومة العالم « الرأسمالى » كله ، والعمل على إضرام نار الثورة العالمية فى سائر جنباته ؛ ولم يقبل البلاشفة فى ذلك أى مناقشة أو هوادة ، وكانت الشيوعية تتقدم فى غزو الدول الصناعيـــة تقدماً حثيثاً ، وتؤازرها موسكو بكل ما وسعت . ولكن البلشفية لم تستطع أن تعيش طويلا بمثلها وغاياتها المتطرفة ولم تلبث أن تأثرت بقطيعة العالم ومقاومته ، واضطرت أخيراً أن تسلك مسلك الاعتدال سواء فى سياستها الداخلية أو الخارجية . ورأى سادة موسكو أن موارد روسيا البلشفية وقواها المادية والمعنوية تتحطم تباعاً أمام ضربات الدول الغربية ، وأن روسيا لا تستطيع الحياة الى الأبد فى ظل نظام يؤلب عليها العالم كله ، ويحرمها من كل عطف وتعاون ، فجنحوا الى تغيير السياسة القديمة ومدوا يدهم الى الدول الغربية ، ولم تهمل الدول الغربية الانتفاع بهذه الفرصة فمدت يدها الى روسيا وجذبتها الى حظيرتها . فالآن نستطيع أن نقول إن البلشفية قد دخلت فى دور انحلالها ، وأنها تنزل شيئاً فشيئاً عن مثلها وغاياتها الثورية المتطرفة ، وأن روسيا تعود شيئاً فشيئاً الى حظيرة الماضى ، فى ظل نوع من اشتراكية الدولة لا يلبث أن يستقر أو يختفى مع الزمن .

وترى الدول الغربية أن دخول روسيا فى العصبة يقويها كهيئة دولية ويزيد فى هيبتها ونفوذها فى سير السياسة الأوربية خصوصا بعد أن غادرتها اليابان ثم ألمانيا . وقد يكون ذلك صحيحاً من الوجهة المحلية ، لأن العصبة تتخلص بذلك من خصم قوى كان يشتد فى مناوأتها ، وتكسب نفوذاً جديداً فى مسائل أوربا الشرقية . ولكن العصبة لا تكسب كثيراً من الوجهة العامة ، ذلك لأنها قد خسرت كثيراً من هيبتها ونفوذها خلال الأعوام الأخيرة ، ونستطيع أن نقول إنها فقدت نهائياً ثقة العالم كعامل فى توطيد السلم العالمى ، وأداة من أدوات التفاهم الدولى والعدالة الدولية ؛ وقد اختفت مثل العصبة القديمة بعد تخبط وفشل استمرا منذ قيامها ، وبعد أن قدمت الأدلة العملية العديدة على أنها لا تستطيع العمل إلا فى الدائرة التى ترسمها لها الدول المستعمرة المسيطرة على مجلسها وعلى ارادتها .

على أنه قد تترتب على هـذا التطور نتيجة هامة هي توطيد دعائم التوازن الأوربي واقصاء شبح الحرب من أوروبا الى حين . ذلك أن وقوف روسـيا إلى جانب فرنسا ودول الاتفاق الصغير على نحو ما بينا يقوى الجبهة الشرقية المعـادية لألمانيا ، ويحمل ألمانيا على التأمل والتريث ، ويزيد من جهة أخرى فى طمأنينة فرنسا ، وفرنسا وألمانيا هما طرفا الخصومة الأوربية ، وعلى موقفهما وعلائقهما يتوقف السلام والحرب الى حد كبير . وهذا التحالف بين فرنسا وروسيا يعود بنا الى ما قبـل الحرب ، وهو نتيجة طبيعية للسياسة التقليدية التى سارت عليها روسيا وفرنسا منذ الحرب الفرنسية الألمانية فى سنة ١٨٧٠ ، وأثناء الحرب الكبرى .

محمد عبد الله عنان
المحامى

هذه المعركة المزمنة بين أدبين !

للأستاذ كرم ملحم كرم

إنها لمعركة مزمنة حقاً ، هذه المعركة بين الجديد والقديم . فهي معركة حامية لاتنطفىء لها نار ولا يخبو منها أوار . فالشباب والمشيب يتطاحنان . المتربع فى القمة يصارع الواقف فى ساحل الحياة ، الضاحك للمستقبل ، المتقلب فى أحضان الربيع ، الناعم باخضرار العيش ، يقاتل من يحاذر الوقوع فى اللجة . الهاتف بمل ء فيه « الغد لى ! . » يغالب المتمسك بأذيال الحياة لئلا يبتلعه الموت !

ومعركة القديم والجديد بدأت منذ الأزل وسوف تتصـل بالأبد . فان هذا التطاحن بين ابن الأمس وابن اليوم حديث كل يوم . هذا التطاحن بين ابن الأمس الخائف على مكانته من التهشيم والتحطيم ، وابن اليوم الراغب فى أن يشق لنفسه طريقاً إلى الشمس ، القائل للقديم المزمن : « دعني أحتل مقعدك ! . » ، هذا التنـافر ابن عصور ودهور ، انبثق يوم انبثاق الـكون ، وسيرافق الـكون فى مراحله الطوال لا يزول منه إلا يوم يزول

فالشباب يغيظه أن يطأطىء الرأس للمشيب ، أن يعترف له أبداً بالسيادة ، أن يقف حياله مكتوف اليدين ، فيصيح به : « نلت نصيبك من دنياك فلا تحرمني نصيبي ! . . » فيأبى من أدركهم المشيب أن يتزحزحوا من أماكن استقروا فيها بعد جهد ومشقة . ويغضب الشباب وفى أعصابه جمر ونار فيثور وتنشب المعركة . ولا يسلم الفريقان من شظايا القدح والنقد والتعريض . الشيخ العتيق يسخر بثمار عقول الشباب . والرائع فى مقتبل العمر يهز بيده الهند الصقيل مهدداً متوعداً ، وتتساقط الضحايا فى الميادين . ويقول القائلون : « المعركة بين القديم والجديد ! . . »

ويخيل إلى بعضهم أن الأدب القديم هو ما جاد به الطاعنون فى السن . وأن الأدب الجديد هو ما يتحفهم به كل ناضر العود . على حين أن بين ذوى الأنياب الصفر فئة لا يبلى لها طارف ولا تليد . فالجديد ما تنفث وتكتب وتنظم ، كما أن بين الفتيان الأفراخ الزغب الحواصل ، فريقاً لا يحسن الابتكار ولا التوليد ، فانه لغارق فى القديم إلى الأذنين ، ويأبى إلا أن يحارب كل من أسن وشاب وشاخ ، وبات على قيد خطوة من يومه الأخير !

وهذه المعركة لا يصح القول عنها أنها بين أدب قديم وأدب جديد . إن هى إلا بين المشيب والشباب ، بين قوم تمتعوا بأطايب دهرهم وأدركوا الشهرة الواسعة والصيت البعيد ، وقوم يريدون قسمتهم من قرص الحلوى . فهم نهمون شرهون جائعون ، يلتمسون الأكلة الشهية يتذوقونها ، مع أنهم فى الخطوات الأولى من عهد الفطام

ومثل هذا النضال ما خلا منه عهد . أما سمعنا جريراً يقول حين سئل رأيه فى الأخطل : أدركته وله ناب واحد ، ولو أدركته وله نابان لأكلنى !

فالأخطل أكبر من جرير سناً . وقد تحكك به جرير ليدرك المنزلة العليا فأدركها ، وهناك من شاء الاقتداء بجرير فى التحكك بالطاعنين فى السن . نريد بشار بن برد الشاعر الفحل الضرير . فقد راش بسهامه جريراً . على أن جريراً لم يرد عليه . وكان يقول حين يبلغه طعن بشار : مالنا ولهذا الغلام الخامل الغر نرفع قدره !

فقيل لبشار : بم أساء إليك جرير ؟

قال : لم تنلنى منه إساءة . على أنى وددت أن يهجونى . ولو فعل لـكنت أشعر شعراء العرب أجمعين !

وغاظ المعرى أن يسمع : « هل غادر الشعراء من متردم ؟ . » فأنشد قصيدة من عالى الشعر جاء فيها :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

فالتطاحن بين القديم والجديد ليس ابن يومه . فكلٌ يريد المقام الأول . والشجيرة يؤلمها أن تخيم عليها الشجرة فتسعى إلى امتصاصها كى تذبل وتجف . هى سنة تنازع البقاء . الشاب يدفع الشيخ إلى الهوة ليقوم مقامه ، والقوى ينشب أظفاره فى الضعيف لتخلو له الساحة . وقد يكون هذا الشيخ من أنصار التجديد . ولكن الشاب لم يطق ظله ، فحفر له الحفرة ووقف يشهد مصرعه فيها .

إذاً من هم أنصار الأدب القديم ؟

من هم المتمسكون به والداعون اليه ؟

لاجدال فى أن الأدب القديم ركن الأدب الجديد . فالأدب الجديد لم ينشأ عفواً ، بل تسلق قواعد القديم وشيد عليها قواعده الخاصة يستند إليها ويحيا بها . فالأدب القديم أبوه ، على أن الابن وإن يكن تغذى من أبيه فقد أظهر فيما شيد لنفسه من بنيان أنه مستقل . فان حجارة هيكله تختلف فى حجمها ولونها وشكلها عن حجارة هيكل المتقدمين . بل هو خالفهم فى البناء نفسه . فجعلوا هيكلهم مستطيلاً . فأبى إلا أن يشيد هيكله مستديراً ، وبنوه على القباب فرفعه ناتئاً يشك فى الأجواء . بدا هيكلهم فى منظر خشن فتلألأ هيكله لطيف الشكل ، مصقول الجدران ، ترتاح العين لرؤيته وينعم فيه النظر بلا ملال .

والأدب الجديد ليس وليد عصر معروف ، فكل عصر يحفل بالقديم والجديد ، كل عصر يبرز فيه هيكلان يختلفان شكلاً ولوناً وذوقاً . كل عصر يدين بهذين المذهبين ويقوم فيه من يناصر القديم ويظاهر الجديد . وليس نصير القديم من وقف على الأطلال فبكى واستبكى ، فان بعضهم يقف على الأطلال ويجود بالشائق الرضى . أما أنشد داود عمون :

هاج أشواق الى الدمن طائرٌ غنى على فنن

وداود عمون شاعر ثوى منذ سنوات قلائل فى مقره الأخير . وقد جاء شعره فى الدمن من أرق الشعر ، فلا هو بالخشن المبتذل ولا الجاف الغليظ ، فالعذوبة وافرة فيه ، والقوة محكمة فى ديباجته العالية .

وليس كل من تحدث عن الأبل والنوق بنصير القديم . فالمنخل اليشكرى لم يكن من أنصار القديم حين قال :

وأحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

لا ، فان فى هذا الشعر لظرفاً ، وإن فيه لأمعاناً فى التوكيد على نحو ما جاء فى قول أبى نواس :

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

إن فيه لرونقاً ، فهو بعيد عن التكلف فى سبكه ومعناه . وكل شعر جامع للرونق خال من التكلف والغلو الفحّاش يطمئن اليه كل جيل ، ويرضى عنه الأدب الجديد .

فما هو الأدب القديم إذاً ؟ . . .

الأدب القديم هو الحافل بغريب الكلام ووحشى الألفاظ ، المثقل بالتقليد ، الراكد فى معناه ومبناه ، فلا ابتكار ولا روعة ولا سهولة ولا ذوق ، هو المنسوج على منوال خشن ، الضخم الكلمات ، الطنان الأجوف القائم على صناعة الألفاظ ، المحشو تكلفاً وتعقيداً ، البارد لفرط ما لاكته الألسن ومضغته الأفواه .

الأدب القديم هو الأدب المطبوع بطابع عصر معلوم ، جاءه من يبعثه حياً فى عصر لم يخلق له ، فاذا نحن رأينا فى شعر امرىء القيس شيئاً جديداً فهناك مالا يصح قوله فى عصر غير عصر الشاعر الضليل ، فقد قيل فى زمن يجب ألا يتخطاه الى زمن آخر ؛ وقد تبدلت العادات وتبدل الناس ، والجديد الجديد فى شعر امرىء القيس تشابيهه واستعاراته . وهذه التشابيه والاستعارات ملك الشاعر لا يجوز لأحد أن يسطو عليها وإلا كان سارقاً . كان أشبه بالضاحك من نفسه ليخدعها وانما يهين نفسه .

فالابتكار فى الأدب أشبه بالابتكار والاختراع فى سائر الفنون . فمن ابتكر فى أسلوب الانشاء مذهباً جديداً بات هذا الأسلوب معروفاً باسمه ، ومن جادت قريحته بتشبيه جديد لا يجوز لأى أديب بعده أن يأخذ عنه هذا التشبيه ويتبناه وهو ليس من تواليده ، وإلا كان سالخاً ضعيف المخيلة ، قاصر اليد .

والأديب العربى لا يكون اليوم مبدعاً إذا أتحف الأدب بروايات أشبه بمقامات الهمذانى والحريرى ، فان ذلك النسيج من ثمار عصر مضى ، وهو مما تستحسن حياكته فى أيام الانحطاط لأنهاض اللغة وإذاعة مفرداتها ، فتلتقطها الأذهان وتستعين بها الأقلام ، أما اليوم فان أسلوب المقامات لا يحتسيه أبناء العصر

ولا يستسيغونه ، فقد تبدل أسلوب الأنشاء تبدلاً عظماً ، فمات السجع ، ومات التقعر والتحذلق والأنصراف الى الألفاظ دون المعاني ، وأضحى الأسلوب السارى كلٌّ واضح جليّ قريب الى الذهن والفهم .

ولا فرق فى هذا الواضح الجلىّ سواء انتقل الينا من الجاهلية أو صدر الاسلام ، أو الأعصر العباسية ، أو عصر الأنحطاط ، أو عصر الأنبعاث ، فان إنشاء ابن المقفع لا يبلى فى أى عهد ، ومثله الجاحظ ، وابن الأثير ، والأصبهانى ، وابن عبد ربه ، وابن خلدون ، مع أن انشاء ابن خلدون أخذ يتقادم عهده وفيه من التطويل ما فيه .

واللغات كلها طافحة بأساليب الأنشاء . وإنها لتحوى من الأساليب الممتعة مالا تقوى على محوه يد الدهر ، ولا تؤثر فيه سنة بقاء الأنسب ، فهى صامدة للصروف لا ترثّ منها القوى ولا ينصل لونها وهى صافية نقية كزرقة السماء .

وهذه الأساليب يصح أن نطلق عليها اسم الأدب الجديد ، وهى الخالدة ، وهى مرجع الطلاب والأدباء ، كساها منشئوها المعنى الجميل فى المبنى السليم ، فأضحت لا تنبو عنها الأذن ولا ينكرها أى جيل ، وهو بها قرير ضنين .

وما يقال فى النثر يقال فى الشعر . فالشعر الناضج بالعصير الشهى لا يفنى ، على حين أن الشعر اليابس لا تقوم له قائمة فى سوى يومه ولو أنشده المتنبى ، فان شعر عمر بن أبى ربيعة ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وابن الدمينة ، وعباس بن الأحنف ، وابن زريق ، وأبى نواس ، والشريف الرضى ، والبهاء زهير ، وابن المعتز ، وأبى فراس ، وشعراء الأندلس فى معظمهم ، مما يصح أن يقال اليوم وينشد ، وتقتبس طريقته ، ويهتدى بنوره ، اللهم اذا تغاضينا عن بعض مناحى هذا الشعر اقتضاه روح العصر ، وكثيراً ما يكون هذا الروح نائياً عن حضارة العصر الذى يلى .

فان هؤلاء الشعراء جمع منظومهم الرقة والروعة والوضوح ، وكل شعر يرتع فى هذه الميزات لا يعرف الأنقراض ، خصوصاً وهو مستمد من العاطفة ، والعاطفة لا تموت ، فالقلوب تخفق أبداً بها . وكل شعر أوحت به العاطفة وعته الذاكرة ، وردده اللسان ، وابتهج به الخاطر ، وتناقلته الكتب والأفواه من عهد الى عهد ، وهو الشعر الذى يفرض مشيئته على الأيام والسنين .

وللشعراء الهجائين منزلة وشأن لدى الحفاظ والرواة . ويمكن القول أن شعرهم يقوم على العاطفة ، أفلا تتبدل هذه العاطفة بما يتبدل به القلب ؟ . . ألا تخضع لسلطان الهوى ؟ . . . وشعر الهجاء يثيره الهوى . إذاً فهو شعر عاطفى . ولهذا الشعر حظه من البقاء والخلود إن يكن جميلا فريدا ، على طراز ما أتحفنا به الحطيئة والأخطل والفرزدق وجرير وبشار ودعبل وابن الرومى والمتنبى . فان شعر الهجاء أقرب الى الحفظ وأبقى أثراً . فالنفس وهى الأمارة بالسوء تميل إلى الهجاء وترتاح له أكثر منها الى إحراق البخور وتقبيل الأذيال .

ولسنا ندعو بالخلود لكل شعر عاطفى ، ولكننا نقول إن شعر العاطفة يملك ميزة الخلود أكثر من أى شعر آخر ، ويأتى بعده شعر الوصف ، على أن يكون بليغاً رشيقاً غير مسبوق اليه . ويقبل فى الدرجة الثالثة شعر الحكمة إذا أفرط فيه قائله تبرأ منه الشعر .

ولا يكتب الخلود لشعر الحكمة إلا اذا قاله من أرغم الدهر على الاصغاء الى إنشاده وأسمعت كلماته من به صمم ؛ ومع أن المتنبى يسير فى طليعة من صاغ هذا الشعر فلا يستطاع الجزم بأن حكمياته تستاغ فى كل عصر ، فهى من بنات عصرها . وقد ظهر خاتم ذلك العصر فيها . ومن المحال أن يحاول تقليدها أى عصر جديد . وكل من استهواه تقليدها فهو من طبقة المحافظين .

لا نكير فى أن فى هذا الشعر قوة ومناعة وحسن صياغة . ولكن صب الحكمة فى الشعر ليس مما يشمله الأدب الجديد . فالأدب الجديد فى الشعر عاطفة ووصف . وما جاوز العاطفة والوصف بليد . ويجوز أن تطفو الحكمة فى بعض المواقف . إلا أن الأغراق فيها يذهب برونق الشعر . ويرصف هذا الشعر فوق أكداس القديم .

ومن الواجب على الأدباء والمتأدبين الأكثار من مطالعة أبى تمام والمتنبى وأبى العلاء . فى مطالعة هؤلاء الأئمة ما يساعد على اقتباس العصمة والقوة والفخامة . إلا أن التشبه بهم يدل على العقم والعجز عن التوليد ، يدل على الانغماس فى التقليد ، على الغرق فى بحيرة ملأى منذ الف عام . فمن خاض عبابها ، لن يبلغ شاطئها

الآخر وإذا بلغ هذا الشاطىء فأى فضل هو فضله وقد كان تابعاً لا متبوعاً ، وقد وقف حيث وقف سواه ؟ . .

ولماذا الاقتداء بأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء في شعرهم الضخم الجامح الى القديم أكثر منه الى الجديد ، وهناك عمر بن أبي ربيعة في قالبه الصحيح العذب الرسيل ؟... فان ابن أبي ربيعة ابن كل عصر ، على حين أن المتنبي ابن عصر أو عصرين أو ثلاثة . فان شعر زعيم الغزليين يقال وينشد ويردد اليوم وغداً وبعد غد ، ويدغم فيما يقال اليوم وغداً وبعد غد كأنه منه وفيه . فلا يجفوه عصر ولا يعرض عنه أى عهد . بينما المتنبي لا يرحب بأسلوبه كل جيل ، وإن يكن ثمة من اعترف به سيد الشعراء .

وكيف تسمع عمر بن أبي ربيعة ينشدك أبياته :

تقول وليدتى لما رأتنى ... طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت أمراً ... وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء ... إذا ما شئت فارقت القرينا
بعينك هل رأيت لها رسولا ... فساقك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكا الىّ أخ محب ... كبعض زماننا إذ تعامينا
فقص علىّ ما يلقى بهند ... يذكّر بعض ما كنا نسينا
وذو القلب المحب وإن تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

كيف تسمع هذا الشعر ولا تحسبه من مواليد اليوم ، بل من مواليد كل يوم ، وهو الوضاء الصافى ، الأنيق الرقيق ؟ . .

وهذا ابن الدمينة هلا أصغينا اليه فى قوله :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
فقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الحزين صبابة
وذبت من الشوق المبرّح والصد

هلا أصغينا الى هذا الشعر البهى القشيب وهو يحدثنا بلغة اليوم وروح اليوم ؟ . . .

قيل كان العباس بن الأحنف إذا سمع هذا الشعر تترنح منه الأعطاف ، وكاد لفرط اعجابه به ينطح برأسه العمود . فقد تعتقه ابن الدمينة بلا خمر .

وأبو فراس أى عصر لا يفتح له صدره وقصائده من بنات كل عصر :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى نهى عليك ولا أمر

وماذا تقول فى شعر المنازى يوم فزع الى الوادى الظليل هربا من الحر .

نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنوّ المرضعات على الفطيم
تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

ألا يسير هذا الشعر فى ركاب كل عصر ؟ .

والبهاء زهير ؟ . . أتنسى البهاء زهيراً ؟ . .

أنا من تسمع عنه وترى ... لا تكذّب فى غرامى خبرا

وماذا نطالب فى الشعر إلا أن ينهج هذا النهج ، إلا أن يصدر عن هذا المورد ؟ . ماذا نبغى منه إلا أن يبقى أبداً شهى المذاق ، اذا رددناه فى كل ثانية أطربنا ورجونا أن نستزاد منه ، فلا يتنكر له زمن من الأزمان ، ولا تشد دونه الأسماع كلما قام للأدب العربى كيان .

فالأدب الجديد إذاً هو المبتكر ، الفريد ، السائغ ، الرائع الديباجة ، الواضح الجلى ، الذى يرضى عنه كل عصر ، ويهضمه كل جيل ، فلا يؤلم السميع بغريب الألفاظ ، ولا بالنافر من المعانى ، ولا بالتكلف والتعقيد .

والأدب القديم هو المثقل بالتقليد ، المطبوع بطابع عصر خاص لا يعدوه ، المنغمس فى السجع فى نثره ، والمتوكىء على الألفاظ والتفلسف فى شعره ، العويص ، الخشن ، الوحشى الكلمات والمعانى ، هو ما يحتاج إلى القاموس كلما خطر لك أن تجيل الأنظار

ومثل هذا الأدب شؤم على اللغة والبيان ، إلا أن المحافظين يستمرئونه ، بينما أنصار التجديد يشنون عليه الغارة ، وينادون إلى استئصاله وهو أدب راكد ، والأدب الراكد لا يعيش !

وقد طال التطاحن بين أنصار الأدبين . وسيطول كلما بقى فى الأدب قديم وجديد . وعندنا أن الأدب الجدير بالحياة ما استوفى شروط البيان ، وحفل بالمبتكر ، وهز النفس ؛ وأرغمك على قراءته والأصغاء اليه ، واستعادة قراءته والاصغاء إليه ، هو ما أطربك كلما رويته ووقفت على بدائعه وآياته . هو مارمى إلى أبعد مما يرمى اليه مقال فى صحيفة سيارة بنشر اليوم ليطوى غداً . . !

بيروت

كرم ملحم كرم
صاحب جريدة « العاصفة »

الشريف الأدريسى

يضع أقدم وأصح خريطة جغرافية للدنيا القديمة

للأستاذ محمد عبد الله ماضى

عضو بعثة تخليد ذكرى الامام محمد عبده بألمانيا

١ — تمهيد :

إننى إذا تحدثت عن الخريطة الأدريسية فانما أتحدث عن مجهود علمى خالد من مجهودات أحد أسلافنا الأمجاد ، عن مبرة من مبرات رجل من رجالاتنا فى التاريخ ، ويد من الأيادى البيضاء التى أسداها أحد علماء الاسلام وأبناء العرب الى العلم والعالم يوم كانوا قادة المعرفة وحملة لوائها على وجه البسيطة ، ويوم كان الشرق يملى كلمته على الغرب ويقوده الى مسالك الحياة الحق على ضوء العلم ، وفى سبيل الهدى والمعرفة . أتحدث عن أقدم خريطة عالمية جغرافية صادقة عرفها التاريخ ووصلت الى أيدينا ، وأقرب صورة عرفت فى تلك العصور السالفة مطابقة لما وصل اليه العلم الحديث ولما نعلمه الآن علم اليقين ، تلك هى « خريطة الشريف الأدريسى » التى أظهر فى وضعها براعة علمية فائقة ، وخلد لنفسه بها ذكراً طيباً حسناً بين العلماء الأمجاد سوف لا يزال يضوع شذاه وينتشر عبيره مادام للعلم أهل يقدرونه ، وما دام هناك من يعرف للعلماء حقوقهم .

ولم يكن كتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) إلا شرحاً لهذه الخريطة وتعليقاً عليها ، وهو كتاب ضخم يقع فى جزئين كبيرى الحجم ، وإن كثيراً من علماء البحث فى الشرق والغرب وفى مختلف العصور ، قد بحثوا بحوثاً مستفيضة فى هذا الموضوع الشائق . ولقد كان آخر من عنى بذلك من علماء البحث الجديد الأستاذ « كونراد ميللر » أحد العلماء الألمان الأجلاء فانه أخرج الخريطة فى ثوب قشيب ، وطبعها طبعة ملونة سنة ١٩٢٨ وكتب عنها الفصول الطوال ، وعقد الموازنات بينها وبين الخرائط الجغرافية القديمة والحديثة ، وأشاد بمنزلتها كأساس قوى متين ، ومرجع منظور اليه بعين التجلة والاحترام من مراجع هذا العلم وأسسه .

***

٢ — من هو الشريف الأدريسى ؟

الأدريسى هو الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس ينتسب الى بيت الأدارسة الذى حكم مدينة « مالقة » فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى بعد سقوط خلافة قرطبة فى بلاد الأندلس .

هذا البيت يمت بصلة القرابة الى الأسرة الأدريسية التى حكمت فى مراكش ١٣٥ سنة من ٧٩١ الى ٩٢٦ م .

وهاتان الأسرتان ترجعان معاً فى نسبهما الى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

إدريس هذا أفلت من يد العباسيين بعد اشتراكه فى ثورة العلويين عليهم فى ولاية موسى الهادى ، وفر من وجههم الى بلاد المغرب سنة ٧٨٤ م وهناك أسس مملكة الأدارسة التى ورثها أبناؤه من بعده . بعد أن بسط يده على تلك الجهة التى نزل بها ، بعضها بموالاة سكانها له ، والبعض الآخر بواسطة الحرب وبعد تحكيم السيف ، وما زال الأدارسة هناك يدبرون ويحكمون حتى غلبهم الفاطميون على أمرهم وانتزعوا الملك من يدهم . صاحبنا الأدريسى ولد سنة ١١٠٠ ببلاد المغرب فى « تطوان » على إحدى الروايات أو فى « سبته » كما فى الرواية الأخرى حيث هاجر والده وبعض أقاربه فى نهاية القرن الحادى عشر ، وأين أتم الأدريسى دراسته وتلقى دروسه ؟ لم يذكر المؤرخون ذلك . ولكن الأمر كما قال الأستاذ « ميللر » ليس بعسير ، فان القارئ لوصفه الدقيق الوافى لمدينة « قرطبة » يستطيع أن يستنبط من ذلك أنها كانت مقر دراسته وموطن تخرجه . نشأ هذا الرجل وقد حببت اليه الأسفار من صغره ، فبدأ أسفاره وهو فى السادسة عشرة ، وسافر الى البلدان الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ، وتغلغل فى شمال أفريقية ، ودرس خصائص أهل هذه البلاد وعوائدهم . فوق هذا سافر الى سواحل فرنسا فى المحيط الاطلانطى ، والى سواحل انكلترا كما حدث فى بعض كتاباته . وفى نهاية الأمر دعاه رجار « روجر الثانى النورمانى » ملك صقلية الى الرحلة اليه والنزول عنده فى « بالرم » على الرحب والسعة والأقامة ببابه كأحد أفراد الحاشية معززاً موفور الكرامة . رجاه ذلك الملك الجليل فى هذا بعد أن وصل الى مسامعه من هو الأدريسى ، وبعد أن علم منزلة الأمير العلمية . قبل الأدريسى هذه الدعوة الكريمة وشد رحاله نحو صقلية ليأخذ

منزلته في البلاط الملكي هناك ، وليحدث هذا الدوي الهائل في الأفق العلمي الذي ما زلنا الى الآن نسمع صداه ، شجعه على قبول هذه الدعوة رغبته في الفرار من وجه أعدائه وأعداء أسرته في البلاد العربية الذين بالغوا في اضطهاده وطلبه ، وسعوا جهدهم في النكاية به . رحل الأمير الى صقلية وأقام بها مدة حياته حتى قبض الى رحمة ربه سنة ١١٦٦ م . وهكذا كان حظه حظ جده الأول أدريس . كلاهما استخلص لنفسه الحياة من مخالب الموت ، وفر من حظيرة الاضطهاد الضيقة الأنحاء الى بحبوحة الملك الواسعة الأرجاء . كلاهما شاد بجده وعزمه دولة إدريسية ، غير أن دولة جده انقضت وأخنى عليها الدهر ، ودولتــه هو خالدة لا تنقضي . والأمر ليس بغريب . فهذا شأن دولة العلم نصيبها الخلود والبقاء بينما تقضي دولة الملك وتفنى . رحل هــذا العالم الجليل والأمير النبيل الى صقلية وقضى بقية أيامه هناك ، قضاها في الانتاج والعمل المثمر . لم يحدد المؤرخون الوقت الذي رحل فيه الأدريسي الى صقلية تلبية لدعوة مليكها رجار « روجر الثاني » ولم يذكروا في أي سنة كان هذا . غير أننا نستطيع أن نأخذ برأي الأستاذ « كونراد ميللر » ونستنبط ذلك من الحوادث التاريخية المرتبطة بالموضوع ، وعليه فلنا أن نفرض أن ذلك حدث قبل سنة ١١٣٨ م بقليل . فأننا نعلم أنه في تلك السنة عقد « رجار الثاني » العزم على العمل لوضع خريطة جغرافية ووضع كتاب يشتمل على وصف أجزاء المعمورة المعروفة في ذلك الوقت . هذا الأمر الخطير الذي لعب الأدريسي فيه دور البطل .

٣ — صقلية في ذلك العهد وحالة البلاط الملكي في بالرم .

كانت صقلية في ذلك العهد ملتقى العقول المفكرة ، ومحط رحال العلماء يأتون اليها من كل فج عميق ، وكانت بالرم العاصمة كعبة رجال العلم يسعون اليها من الشمال والجنوب لما عرف عن مليكها رجار الثاني النورماني من محبته للعلم وتقديره للعلماء واحترامه لهم من أي جنسية كانوا ، والى أي ملة انتسبوا . فقد كان بلاطه بحق حرم العلم ، من دخله من العلماء كان آمناً . هنا التقت الحضارة الاسلامية بالحضارة المسيحية ، وتعرف فن الشرق المسلم الى فن الغرب المسيحي فتآخيا وأخذا يعملان جنباً الى جنب إخواناً متحابين لمصلحة العلم وفي سبيل خير العالم . هناك ورث النورمانيون حضارة العرب الذين حكموا الجزيرة ٢٤٢ سنة من سنة ٨٣٠ الى ١٠٧٢ م والذين ورثوا حضارة الروم من قبل . في ذلك الوقت كانت الحروب الصليبية قائمة على قدم وساق ، فكان هذا سبباً لوفود كثير من رجال دول أوربا ودول العالم المختلفة الى بالرم . هؤلاء الرجال الذين كان للكثير منهم شأن في بلادهم ومعرفة بأحوالها السياسية والاجتماعية والجغرافية . كان ذلك الوقت هو العصر الذهبي للنورمانيين في صقلية الذي عمت فيه سيادتهم جميع أنحاء الجزيرة ، والذي دخل تحت سلطانهم في خلاله قسم من ايطاليا وشمال أفريقيا . كل هذه العوامل سهلت للأدريسي القيام بمهمته الكبيرة الشأن ، ومكنته من أن يجمع الى معارفه الخاصة وملاحظاته الشخصية التي اكتسبها بأسفاره الطويلة ورحلاته المتعددة ، وأن يضم اليها ما جعله يضع خريطته العالمية ويكتب كتابه « نزهة المشتاق » عنها بوجه لم يسبق اليه ، حتى كانت هذه الخريطة وذلك الكتاب مرجع المؤلفين الجغرافيين من بعده .

٤ — مؤلفات الأدريسي في المدة التي قضاها في صقلية .

لم يقتصر عمل الأدريسي في تلك المدة التي قضاها في بلاط بالرم على وضع تلك الخريطة ، ولكنه ألف غير ذلك أربعة كتب (١) كتاب نزهة المشتاق أو كتاب رجار الذي سبقت الاشارة اليه ، والذي اختصر فيما بعد تحت هــذا الاسم عينه ، ولقد أطلعت على نسخة من هذا المختصر في مكتبة المعهد الشرقي بهامبورج مطبوعة بروما في سنة ١٥٩٢ م ومكتوب على هامشها أن هذا الكتاب أول ما طبع باللغة العربية (٢) كتاب الممالك والمسالك الذي لم يصلنا منه الا بعض مقتبسات اقتبسها أبو الفدا عند كلامه على الجغرافية العربية . كذلك حدثنا عنه الشاعر ابن بشرون الأندلسي ، وحدث أن الأدريسي ألف هذا الكتاب سنة ١١٦١ لنجل رجار الثاني « فلهلم » الذي حكم من سنة ١١٥٤ الى ١١٦٦ م (٣) كتاب روض الفرج ، وهو كتاب جغرافي صغير اكتشفه أحد الباحثين من نحو ثلاثين سنة بمكتبة خاصة في (استامبول) (٤) كتاب يبحث في وسائل العلاج البسيطة . فوق هذا نقل الأستاذ « ميللر » عن المؤرخين أنه كان شاعراً وأنه لم يصلنا من شعره الا بعض مقطوعات ، ولكنني لم أعثر على شيء من هذه المقطوعات لأعرضه على قراء الرسالة .

٥ — كيف فكر روجر الثاني في وضع هذه الخريطة وكيف عهد الى الأدريسي بذلك ؟

عني روجر الثاني عناية خاصة بالمسائل الجغرافية وأخذ يشتغل بدراسة الكتب الجغرافية المختارة الموجودة في ذلك العهد ، ولاسيما

العربية منها ، ولكنه لما لم يجد بعد البحث الطويل ما يطفىء غلته ويقضى به لبانته ويريح ضميره كباحث مجد . لما لم يجد جواباً واضحاً وحلاً موفقاً لما كان يجول بخاطره من المشكلات العلمية أخذ يستحضر رجال الخبرة الأجانب الذين وفدوا على مملكته من كل فج ويسألهم بواسطة التراجمين منفردين أو مجتمعين عن مواقع البلدان وحدودها ، وعن كل ما يتعلق بها جغرافياً كلاً بقدر ما تصل اليه معرفته ، وقد كانوا كثيري العدد ، فان توافقت أجوبتهم ولم تتضارب أقوالهم اعتبر إجاباتهم صحيحة وأعطاها قيمتها العلمية وقيدها وإلا ردها عليهم ولم يعتبرها ، وبعد أكثر من خمس عشرة سنة قضاها بلا انقطاع مع صاحبه الأدريسي فى هذا العمل الخطير والبحث الشائق استقر الرأى على تقييد ما وصلوا اليه ورسمه فى خريطة عالية كاملة تبين فيها مواقع البلدان والبحار والأنهار والجبال الى غير ذلك كما وصل اليه البحث وانتهى اليه الاستقراء ، فأعطيت القوس باريها ، وعهد بهذه المهمة الكبيرة الى الشريف الأدريسي الذى رسم أصل هذه الخريطة ، ثم بعد هذا أراد الملك أن تحفر هذه الخريطة ثانية على لوح من الفضة ، فأحضر الصناع المهرة الذين أتموا هذا العمل تحت رعاية الأدريسي ورقابته ، وبعد أن جمل الملك مقدار أربعمائة ألف درهم من الفضة كما روى خليل الصفدى تحت تصرف الأدريسي لهذا الغرض اتخذ الأدريسي أقل من ثلث المقدار مائدة مستطيلة يبلغ طولها كما قدر الأستاذ «ميللر» ثلاثة أمتار ونصف متر وارتفاعها متراً ونصف متر تقريباً ، ثم حفر عليها بواسطة الصناع المهرة كما قدمنا خريطة بغاية الدقة والأتقان وتمام الموافقة لتلك الخريطة التى رسمها قبل القيام بعملية الحفر ، وكان الفراغ من هذا العمل الجليل الشأن فى يناير سنة ١١٥٤ م .

وكشرح لهذه الخريطة وتعليق عليها ألف الأدريسي كتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق أو كتاب رجار الذى أشرنا اليه ، وإنه لجدير بهذه التسمية بعد أن بذل هذا الملك الجليل تلك العناية الكبيرة، وقدم هذا السعى المحمود خدمة للعلم وحباً فيه ، وقد كانت العناية بتأليف هذا الكتاب شبيهة بأختها فى وضع الخريطة . فقد اختار رجار الثانى والأدريسي عدة من الرجال الذين يصح الأعتماد عليهم فى مثل هذه العظائم وبعثوهم الى جهات العالم المختلفة ليدرسوا أحوال البلدان النائية ويدرسوا أهلها وعاداتهم وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ويدرسوا حاصلات البلاد وحيواناتها وكل ما تنتجه ويعيش فيها الى غير هذا مما له أهمية جغرافيـــة .وما يتعلق ببعض نواحى علم طبقات الشعوب وعلم الاجتماع . أمرهم بأن يدرسوا هذا ثم يضعوا تقريراتهم عنه ، ولقد حمل هولاء الرسل إذناً من الملك النورمانى رجار الثانى ليحضروا معهم كل ما يعدونه غريباً فى بابه ذا أهمية جغرافية خاصة من الأمور الخارقة للعادة فى باب الطبيعة ، وبعد أن تم ذلك وعاد أفراد تلك البعثة الاستكشافية من الجهات التى أرسلوا اليها ، وقدموا تقاريرهم اجتمع لدى الأدريسي ما مكنه من وضع كتابه نزهة المشتاق .

٦ — كيف كانت صورة الارض فى نظر الادريسى عند وضعه خريطته ؟

ولا بد لنا قبل أن نتكلم عن شرح الخريطة وبيان بنائها أن نشرح الصورة الأرضية التى كان يعتقدها الأدريسي عند وضع خريطته . كان الرأى الشائع الى أواخر العصر المتوسط أن الأرض مسطحة عائمة على وجه الماء . نعم لقد شك بعض علماء اليونان فى ذلك وثار عليه أفراد آخرون بعدهم ، ولكنه لم يزل رأى الأغلبية حتى نهاية ذلك الوقت . أما رأى الأدريسي يشاركه فيه علماء الجغرافيا الأخصائيون من العرب فقد كان غير ذلك ؛ اعتقد الأدريسي أن الارض مكورة على شكل بيضة يحيط بها الماء ويتعلق بها بواسطة قوة جاذبية طبيعية ، فالماء يغمر نصفها وينحسر عن النصف الآخر مع كون هذا النصف الأخير المنحسر عنه الماء آخذاً شكلا بيضاويا منقسما بواسطة خط الاستواء الى قسمين متساويين : شمالى وجنوبى، المعمور منها الشمالى فقط . أما الجنوبى فهو خراب غير معمور لشدة الحرارة ولعدم وجود الماء ، ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى أن ابن رشد الطبيب والفيلسوف والفقيه المسلم (١١٢٦ — ١١٩٨) عارض الأدريسي فى هذه النقطة ، فلقد روى عنه ابن خلدون (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ) فى مقدمته [١] أنه ارتأى أن النصف الجنوبى من الكرة موافق للنصف الشمالى منها تمام الموافقة فى الجو والطبيعة وأنه مأهول بالسكان مثله ، وأن النقطة القريبة من خط الاستواء سواء كان شمالا أو جنوبا شديدة الحرارة ، ثم تتدرج درجة الحرارة فى الانخفاض بقدر بعد المنطقة عنه . ووافق ابن خلدون ابن رشد فى أصل نظريته وأيدها بما ساق من الأدلة ، إلا أنه رأى أن النصف الجنوبى لا سكان فيه كما فى الشمال ، وعلل ذلك بأن معظم القسم الجنوبى الصالح للسكنى مغمور بالماء .

يتبع **محمد عبد الله ماضى**

(١) المقدمة ص ٢٩ طبعة المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ .

الصورة والتصور والتصوير *

للأستاذ الحوماني
صاحب مجلة العروبة

هنالك في حيّز الشعر صورة وتصور وتصوير، ولكل منها نصيب من الجمال في الحياة، ومناط الجمال في كل منها إنما هو الفن إذا صح إطلاق الفن وحده على الشعر كما سترى. فالصورة إحدى ظواهر الطبيعة وهي إما حقيقة أو خيال — والتصور مرور الفكر بهذه الحقائق يتصفح صورها — والتصوير إبراز هذه الصور إلى الخارج بشكل فني، فالتصور إذن هو العلاقة بين الصورة والتصوير وأداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة، والصورة يتعاقب عليها فنان: فن المبدع وفن المصور، ويقال للمصور مبدع إذا كانت الصورة من خلقه، وهو يتصفح الحقائق فينتزع منها صورة مركبة نسميها خيالاً. فالخيال لا يخلو من رمز يشير لك إلى المبدع الأول مهما افتن الشاعر في صرفك عن لحاظه. فالمرأة ظاهرة من ظواهر الفن الطبيعي، وتصويرها إحدى ظواهر الفن الصناعي. فجمال النفس فيها انما هو جزء من روح مبدعها الأول، وجمال الشعر في تصويرها انما هو جزء من روح مبدعها الأخير.

والتصور الذي هو لحاظ الفكر صور الحقائق يختلف شدة وضعفاً باختلاف الفكر الذي هو أداته، فتصور الشاعر جمال الفن في احدى ظواهر الحياة إنما هو الاحاطة بدقائقها واكتناه السر الذي كانت له، والصورة الفنية إنما تتكون من جليل تحف به دقائق يمتاز بالوصول إليها شاعر الفن من غيره، ومناط الجمال في تصوير الشاعر وقوفه على دقائق لا يتبينها في الصورة الفنية سواه، ففي كل صورة فنية طبيعية كانت أم صناعيـــة من معجزات الفن ماهو ظاهر وماهو خفي. فالشاعر يمتاز من غيره بتصور هذا الخفي ثم لا يكون فناناً حتى يصوره. فالرسام إنما يصور لك المرأة الجميلة حتى كأنك ترى شخصها، والشاعر إنما يصفها لك حتى كأنك تلمس روحها، إنما يصور ذلك ويصف هذا، وكلاهما شاعر فنان؛ بفضل ما يدركان من خفي ما أبدعه الفن في الصورة الجميلة فيصورانها. من ذلك نصل إلى أن الشاعر لا يفهمه كالشاعر وناقد الفن يجب أن يكون فناناً، ولا تنس أن الشاعر إنما يفهم الشاعر الذي هو دونه أو مساوله، وأما من حلّق عليه فلا ينبغي له أن يمد بصره إلى أفقه وهو يحاول نقده حتى يكونه، على أن الشاعر لا يجب في النقد أن يكون فناناً، فرب شاعر غير فنان يستطيع بما أوتيه من فكر أوتي دقة التصور أن ينقد الشاعر الفنان.

فالدكتور طه حسين يستطيع أن ينقد أمير الشعراء لا من حيث كونه (١) شاعراً فناناً، بل من حيث كونه شاعرا فقط، إذ هو في الفن دون أمير الشعراء، ولكنه في تذوق الفن قد يكون فوقه أو مساويا له، فليس الشعر مرادفا للفن ولا الفن مرادفاً له. وقد يكون الشعر فنّاً كما قد يكون الفن شعراً. والشاعر الفنان يستطيع أن ينقد الشاعر فناناً وغير فنان، فكل من أبدع في التصوير كان في حيزه الابداع في التصور، وقد يكون في حيز الابداع في التصور الابداع في التصوير، وإذا صح لنا أن نطلق على الشعر أنه تصوير الجمال في الحياة صح لنا أن نطلق عليه جمال التصوير، فحيث يكون تصوير الجمال يكون جمال التصوير، وقد يخامر السامع ريب في صحة الأول، وأن الشاعر قد يصور قبيحا في الحياة فلا يخرجه عن كونه شاعرا فيما صور، وجوابه سهل فيما إذا لحظنا ثبوت كون الجمال نسبيا في الحياة وأنه لا قبح فيها، وإنما هو جميل كما مر بك في القول على الجمال.

وأما إذا اعتمدنا القول في أن من الصور الفنية في الحياة ما هو حسن وما هو قبيح لزمنا القول في أن حد الشعر بجمال التصوير أصح، ولزمنا من جهة أخرى نفي الجمال المطلق عن الفن الطبيعي وهو مرآة الفن الصناعي، فلزم الفرق بين فن الطبيعة وفن الانسان من حيث حده وتعريفه؛ وهما فن واحد، إلا أن يكون القبح في الصور الفنية عارضاً بعد كونها والجمال ذاتي فيها فيستقيم إذ ذاك تحديده الثاني.

فالطبيعة لم تبدع غير جميل، وما يتراءى لنا قبيحاً فلعارض حور مجراه الطبيعي في نفوسنا؛ أو لسرّ فيه خفي عنا إدراكه فعز علينا مناط الجمال فيه، وليس الجمال في الصورة أو التصور مناطا

* من كتابه (العبقرية) وهو تحت الطبع

(١) أي كون طه حسين

للجمال فى التصوير ، ولا شىء من جمال التصوير أو قبحه يستلزم جمال الصورة أو قبحها ، فأى جمال فى صورة الأحدب يستلزمها جمال تصورها فى قول الشاعر :

قصرت أخادعه وغاب قذاله   فكأنه مترقب أن يصفعا
أو أنه قد ذاق أول صفعة   وأحس ثانية لها فتجمعا

فاللازم إنما هو جمال التصوير فقط ، وجمال التصوير يتحقق فى نقل الصورة على أتم وجه بأسلوب جميل ، والصورة أعم من أن تكون فى الخارج كصورة الأحدب التى مرت بك أوفى النفس كما فى قوله :

أعانقه والنفس بعد مشوقة   اليه وهل بعد العناق تدان ؟
وألثم فاه كى تزول حرارتى   فيشتد ما ألقى من الهيمان
وما كان مقدار الذى بى من الجوى   ليطفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادى ليس يطفى غليله   سوى أن ترى الروحان تمتزجان

فلم يكن الشاعر ليصف لك فى هذا المشهد صورة العناق فى الخارج ، وإنما يريد أن يصور لك حالة نفسية تعتريه كما تعترى كل عاشق ، وهى انفعال النفس بما تجده فى قرب من تحب . وبلوغها حداً لاتشعر معه حتى تبلغ النهاية فى ثورتها وهى امتزاج الروحين ، ولم يكن ليطفىء ثورتها تلاصق الجسدين ، ووضع الشفاه على الشفاه وهما طريقها الى الغاية التى تصبو اليها . على أنى لا أرضى عن الشاعر فى إنكاره أن وراء العناق تدانياً ، فالحب اسمى من أن تناله المادة وهو وليد الروح ، ولعل دموع الحب عصارة هذه النفس المتألمة من وراء انفعالها به ، فاذا كانت الروح مناط هذا الحب فأنى للجسم أن يطفىء ثورته بالتقبيل أو العناق ، والصلة بين المتحابين إنما تتحقق فى امتزاج روحيهما ، فقد يتلاصقان ولما يزل هنالك بعد بين الروحين ، وحجاب كثيف يحول دون امتزاجهما . أفلا يكون إذ ذاك تدان وراء العناق ؟ على أن فى البيت الأخير وجعله امتزاج الروحين مناط شفاء النفس دليلاً على أنه إنما يقصد بقوله (وهل بعد العناق تدان) أن العناق أقصى ما يبلغه الحب فى الصلة بين شخصى المتحابين لا أن مطلق التدانى مرة وراء الحب قاصر على العناق إذ صرح فيما بعد أن هنالك امتزاجاً فى فى الأرواح ، وهو أشد ارتباطاً فى الحب من العناق ، وأبلغ تدانياً منه .

اذا وصف الشاعر قبيحاً فأبدع فى تصويره ، فقد صور لك جمال الفن ، فكان صادقاً عليه اذ ذاك أنه مصور لجمال الحياة إذ الفن من الحياة ، فتصويره تصوير لجمالها أو لناحية من نواحى الجمال فيها . فقد لا تجد أثراً للجمال فى كوخ بال قذر يمرح فيه الفأر وتعلو جدره العناكب ويسود أفقه البق . وقد جلس فى احدى زواياه شيخ بالى الطمر وبين يديه سراج ضئيل يقاسى الى جانبه آلام البؤس .

قد يبدو لك ذلك قبيحاً وأنت تشرف عليه أو تلج اليه فتصفر الحياة فى عينك ماثلة بين جدره . ثم اذا صور لك رسام مفتن حرك منظره من نفسك بين روعة الفن وجمال التصوير ما يقف بك خاشع الطرف بين يدى الفن وجلاله ، وهكذا تراك وأنت تقرؤه فى قول الصافى :

أكافح البرد فى سراج   يكاد من ضعفه يموت
فى غرفة كلها ثقوب   أوشئت قل كلها بيوت
يسكن فيها بلا كراء   فأر وبق وعنكبوت

فمناط الشعر فى ذلك إنما هو جمال التصوير ، ولعل الخيال أوفى نصيباً من الحقيقة فيه . ففى قوله (يكاد يموت) و(كلها بيوت) و (بلا كراء) من جمال الفن ما لم تكد تعثر عليه فيما لو جردت الأبيات منها ، ولم يكن ليستطيع الصافى أن يصور لك الجمال فى البؤس لو لم يكن هو بائساً ، ولعل أشعر الناس بالبؤس هو ألصقهم به وأقربهم نفساً منه . اذ البؤس إحدى ظواهر الحياة فى الحى ، والصورة الفنية إما أن تكون حقيقة محضة أو ملفقة من الحقيقة والخيال ، فالأولى تتحقق فى نقلها لك كما فى الواقع حتى كأنك تراها حقيقة مجردة عن الخيال كما مر بك فى تصوير الأحدب فى قول ابن الرومى ، والثانية نقلها لك وليدة خيال يوهمك وجودها فى الخارج كقوله[1] :

خلا بدك البيضاء ذم وللندى   على حافتيها مسرح ومقيل
حمت غصن المعروف أن يختطىء الجنى
وزهر الندى أن يعتريه ذبول

لم يشأ أن ينقل صورة الغصن أو صورة المعروف ولا صورة الزهر أو صورة الكرم ، وانما شاء أن ينقل لك صورة لفقها الخيال من كلتا الصورتين على طريق الاستعارة ومن ورائها التشبيه المطوى كما يحققه علماء البيان .

بيروت   الحرمانى

(١) الناظم صاحب المقال

٣ ـ الشـــخصية

للأستاذ محمد عطية الابراشي
المفتش بوزارة المعارف

العناصر الرئيسية التي تتكون منها الشخصية القوية :

تكلمنا فيما مضى عن الشخصية وماهيتها ، وقلنا إنها قد توهب بالفطرة ، وقد تكتسب بالتربية الحق ، وبينا أن الناس يختلفون في شخصياتهم كما يختلفون في ذكائهم وميولهم الفطرية ، وذكرنا من العناصر الرئيسية المكونة للشخصية القوية ثلاثة عناصر وهي : الجاذبية ، والنشاط العقلي ، والمشاركة الوجدانية . واليوم نتكلم عن العنصر الرابع وهو الشجاعة فنقول :

ربما كانت الشجاعة أهم عنصر من عناصر الشخصية القوية في أوقات الرخاء والشدة على السواء ، ولكن ما الشجاعة ؟ الشجاعة قوة بها يتمكن الانسان من السيطرة على قواه مع ضبط نفسه وقت الخطر الذي يهدده ، سواء أكان ذلك الخطر حقيقياً أم وهمياً .

وكما أن الشجاعة فضيلة في الجندي والملاح فكذلك هي فضيلة في غيرهما من بني الانسان . وهي خير مقياس يقاس به الشخص في أوقات الشدة حيث يتطلب الثبات أو الاقدام . وبهذا القياس يمكن وضع الشخص في مرتبته الخاصة بين الشجعان أو الجبناء وبين العظماء أو العاديين .

وقد قيل ، وقيل حقاً ، إن الشجاعة تتوقف على القوة الجسمية والعصبية والعقلية والخلقية التي لدى الانسان . وإن المدنية الحاضرة قد قللت من الشجاعة بين الأفراد ، فقد صرح أحد النظار السابقين لمدرسة (إيتون) الانجليزية المشهورة بأنه رأى غلاماً قد دخلت في عينه ذبابة ، فحاولت أمه وأخواته الثلاث إخراجها بغير جدوى ، ولم يكن الأمر في حاجة إلى أكثر من أن يتحمل الولد الألم دقيقة واحدة ، ولكنه لم يتحمل آلام دقيقة — إن كانت هناك آلام . فأخذ في عربة إلى طبيب في مدينة تبعد خمسة أميال عن القرية : كل هذا من أجل شيء يسير كان في استطاعة أي فرد من الأسرة أن يقوم به بسهولة .

هذه حكاية عن شبان الأمس وأمهات الأمس بانجلترا . أما اليوم فتجد الأمهات والآباء يغرسون الشجاعة ، وخلق الرجولة في نفوس أبنائهم من الصغر ، ويعودونهم الصبر ، وضبط النفس وكتمان الشعور . وتحمل الألم من الطفولة الأولى . وبهذه الوسيلة يبثون الشجاعة فيهم . ولا يظهر الخلق المتين ولا تبدو الشخصية القوية إلا بهذا النوع من الشجاعة ، وهو القدرة على احتمال الآلام . وإن من يستطيع أن يحتمل خمس دقائق أكثر من غيره يمكنه أن يفوز بالنجاح والنصر ، سواء أكان جندياً أم قائداً ، متعلماً أم معلماً ، غنياً أم فقيراً . وبالشجاعة يظهر الفرق الكبير بين الشخصية القوية والشخصية الضعيفة . والآن نريد أن نبين مظاهر الشجاعة وأثرها في النجاح في العمل وفي الحياة الاجتماعية فنقول :

مظاهر الشجاعة :

أولا : الشجاعة في ضبط النفس ، وذلك بأن نقف موقفاً طبيعياً بكل شجاعة عند مقابلة الرؤساء أو عند الظهور أمام مجتمع لالقاء محاضرة أو الاشتراك في مناظرة ، أو التعبير عن رأي ، أو الدفاع عن مبدإ أو عقيدة ، بحيث لا نرتعد أو نضطرب ، ونظهر بأحسن مظهر في حديثنا وإلقائنا ، ونبرهن بأعمالنا وآرائنا على مقدرتنا بكل لطف وأدب . وإذا لم يكن لدى الانسان قدرة على إظهار مقدرته بالعمل وضبط النفس فقد تضيع منه الفرصة الذهبية التي قد لا تصادفه مرة أخرى . وكثيراً ما تضيع الفرصة من الشخص ، ثم يندب سوء حظه ، ويشكو الظروف والمقادير ، مع أنه لم يكن في حاجة الى أكثر من الشجاعة في انتهاز الفرصة حين سنوحها .

ولا سبب يدعو الانسان الى الخوف من أبناء جنسه . وقد يكون الخوف مبنياً على وهم لا أساس له . واذا وثق المتكلم من نفسه ، وعرف ما يريد أن يقوله ، وعرف كيف يعبر عن خواطره ، وكيف يبرهن على نظريته بالعقل والمنطق ، فانه يستطيع أن يطمئن الى نفسه ، ويمسك زمامها ، ويقابل من يشاء ، ويخاطب من يريد ، مادام متحلياً بالأدب ، واثقاً من نفسه ، وكان عقله مرتباً وأفكاره منطقية ، بحيث لا يتسرع في ذكر شيء يدل على عقل مضطرب ، أو روح قلق ، ولا يتظاهر بما ليس فيه . واذا وثقت مما تريد أن تقوله فهذا وحده كاف لأن تؤثر في نفوس سامعيك ، وتنظر اليهم وتقابلهم بكل قلبك وجهاً لوجه ، وتجعل قلبك وروحك في إثبات ما تريد إثباته ، أو نفي ما تريد نفيه ، فتتكلم بقلبك لا بلسانك .

ولا شيء يبرهن على الشجاعة ويخضد شوكتها أكثر من الهلع ؛ فحيثما وجد وجد الألم ، والقلق النفسي ، وتعب الضمير ، واضطراب العقل ، فتضطرب شخصية الانسان . ولئن كان الخوف ثمناً ندفعه في سبيل المحافظة على الحياة فالافراط فيه عيب من العيوب الانسانية التي يجب تهذيبها ، والتي تقضي بأن يفكر الأنسان في الشيء وفي نتائجه .

وبجانب المخاوف التي تلحق الشخص في حاضره ، وتحيط به من وقت لآخر ، مخاوف وهمية يتوهمها ، ويتخيل حدوثها في المستقبل ، فيقلق باله ، ويضطرب فكره ، وتضعف شخصيته . وكثيراً ما تكون هذه الأوهام المخيفة مبنية على غير أساس ، ونادر أن تقع . وكم اغتممنا لتوقع مصائب لم تحدث ، ولن تحدث . وتكثر هذه المخاوف عادة لدى الشخصيات الضعيفة . أما ذوو الشخصيات القوية فلا يكثرون من الهموم من غير ما سبب ، ولأقل سبب ، بل يستقبلون الحياة كما هي ، ويواجهونها بما فيها من مسرات وأحزان ، وسعادة وشقاء على السواء ، يبتسمون بهدوء حتى في مواطن البكاء ، ويصبرون في مواقف البأساء . وهؤلاء جديرون بالنجاح في الحياة لشدة ثقتهم بالله .

والحياة مملوءة بالحوادث والمصائب ، والعجائب والغرائب . ولا يستطيع الانسان أن يعرف ما ينتظره في الغد من المقادير ، وقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فيفاجأ الانسان بأشياء ما كان ينتظرها ، كمرض أو فقد مال أو خسارة . فبهذه وبكثير أمثالها من الحوادث تختبر رجولتنا ، ويعرف معدن الرجولة فينا ، وبالروح التي نقابل بها هذه الحوادث تظهر شخصيتنا أو تستتر . ولا تظهر الرجال إلا عند الشدائد والمصاعب .

وبما أن النجاح في الحياة ليس من السهل فيجب أن يتعلم الانسان كيف يبتسم في الأيام المظلمة ، كما يبتسم عند المسرات في أيام السعادة والهناءة . وينبغي أن يتعود الشجاعة والاحتفاظ بقواه عند الملمات حتى يكتسب إعجاب رفقائه واحترامهم ، ويثبت ثبات الطود في مهب الرياح . وليس من الشجاعة أن تكثر من شكوى الحياة والظروف والأيام ، فشكوى سوء الحال لن تغير ما حدث ، بل تذهب بنضرة العقل ، وقوة القلب ، وإن الفرق من الخذلان والهزيمة يؤدي إلى الهزيمة ، وقوة الأمل في النجاح مع التشجيع والمثابرة تحفظ روح الانسان وهمته ، وتبعث فيه كثيرا من الرجاء في الفوز ، وبخاصة اذا عمل بعقله وقلبه ويده ، وإن الاعتراف بالنقص فضيلة ، والعمل على علاجه شجاعة .

فنحن في حاجة الى الشجاعة التي بها نستطيع مواجهة المخاوف ومقابلتها بكل ثبات وصبر وتفكير حتى نتغلب على مصاعب الحياة ، ونقلل من الخوف الذي يهدم الرجولة من أساسها ، ويقتل الشخصية في مهدها .

وإن أعظم انتصار في الحياة هو الانتصار على النفس بضبطها وكبح جماحها ، والتغلب عليها . وليست الشجاعة في أن تنتصر على سبع مفترس فحسب ، ولكن الشجاعة في أن تسيطر على نفسك التي بين جنبيك . وأرقى مظاهر الشجاعة الصبر والتحمل عند المقدرة .

ثانياً : هناك مظهر آخر للشجاعة يتبين في التغلب على الصعاب التي تعترض الانسان في الحياة ، وإصلاح الأخطاء التي تمر بنا سواء أكانت هذه الأخطاء منسوبة الينا أم منسوبة إلى غيرنا . وهناك كثير من المصاعب التي يمكن التخلص منها بقليل من الشجاعة والحزم والثبات ؛ وكثيرا ما يكون الجبن سببا في الفشل وعدم النجاح في العمل . وكما تكون الشجاعة في الاقدام على الشيء تكون في الاحجام عند تحقق التهلكة . ولا تقل الشجاعة في الأحجام والتريث حينئذ عن الشجاعة في الاقدام .

وممن كانوا مثلاً للشجاعة واقتحام المخاطر بين العرب خالد ابن الوليد : ومن أقواله : لقد لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو رمية ، ثم هأنذا أموت على فراشي حتف أنفي ، فلا نامت أعين الجبناء .

ثالثاً : تظهر الشجاعة في الاجابة وفي إبداء الرأي : ومن الشجاعة أن يجيب الانسان بكل أمانة وإخلاص عما يسأل ، وأن يبدي رأيه بكل صراحة ، ويدافع عنه من غير تغيير للحقائق ، ومن غير اضطرار الى الأنكار أو ذكر نصف الحقيقة خوفا من أن يظهر بنفسه الحقيقية كما هي ، وإذا اعترفنا بكل اخلاص أننا فعلنا كذا ، ولم نسمع رواية كذا ، أو لم نقرأ كتاب كذا ، أو أننا لا نحب فلاناً فقد يعجب المستمع العادي ، ولكننا لو ذكرنا السبب بطل العجب . وهذا أفضل من تشويه الحقائق بالتغيير والزخرفة وتضليل الغير . وهناك أسئلة شخصية تدل على تطفل السائل ، وتدخله في شئون غيره ، فمثل هذه الأسئلة يجب أن تحارب برفض الاجابة عنها بكل أدب ، عقابا لذلك التطفل ؟

محمد عطية الابراشي

فصول مدرسية في الأدب الدرامي

٧ - الرواية المسرحية

في الفن والتاريخ

بقلم أحمد حسن الزيات

تحليل موجز لأشهر المآسي

مآسي كورني : سنا Cinna — موضوعها حلم أغسطس على سنا ، وعفوه عنه وعن سائر المؤتمرين به ، ومغزاها انتصار العفو على الانتقام . وقد وقعت حوادثها في قصر أغسطس بروما عام ٢٣ قبل الميلاد . وأهم أشخاصها : أغسطس أول امبراطور لروما ، وسنا حفيد (بمپيه) وزعيم المؤتمرين بالامبراطور ، ومكسيم زعيم آخر من زعماء المؤامرة ، واميلي بنت طورانيوس قتيل أغسطس ظلماً ، وأوفورب عتيق مكسيم .

الفصل الاول : تناجي اميل نفسها أولاً ، ثم تصارح نجيتها ثانياً بعزمها على الانتقام من قاتل أبيها ، ولا تجد آلة لانتقامها إلا سنا حبيبها . فتشترط عليه ألا تقبله زوجاً إلا إذا انتزع من الامبراطور السلطان والحياة . فيجتهد سنا في تدبير المؤامرة . ويعود اليها فينبئها باستعداد المؤتمرين للعمل في الغد . ويفجأه الامبراطور باستدعائه اليه هو وشريكه مكسيم ، فترتعد مفاصلهم مخافة أن يكون أمر المؤامرة قد افتضح .

الفصل الثاني : على أن جزعهم كان سابقاً لأوانه ، فان الامبراطور مازال يجهل أمرهم . وانما يريد أن يستشير الزعيمين في نزوله عن الملك ، فقد سئمه وزهد فيه . فيشير عليه مكسيم بترك العرش ، ويتوسل اليه سنا بالاحتفاظ به . فان الشعب لا يصلح أمره ولا يهنأ عيشه إلا إذا كان له سيد . أما حكومة الشعب فهي شر الحكومات . فينزل الامبراطور على رأي سنا . ويخلو الزعيمان الى نفسيهما ، فيلوم مكسيم شريكه على إظهاره خلاف ما يضمر . فيعلن اليه سنا أن موت الطاغية هو مهر اميلي ، وفي نزوله عن الملك إخفاق هذا الأمل :

الفصل الثالث : يغار مكسيم من سنا لأنه يحب اميلي أيضاً ، ويحاول إحباط زواجهما . ويغريه مولاه (أوفورب) أن يفشي سر المؤامرة الى أغسطس . ويخز سنا ضميره ويشتد ألمه وندمه كلما دنا الوقت العصيب فيتردد . وتدخل عليه اميلي وهو في تلك الحال فتوقد صدره وتجمع أمره فيذهب ، ولكن في نيته أن يقتل نفسه بعد أن يقتل الامبراطور .

الفصل الرابع : يبلغ أوفورب خبر المؤامرة الى أغسطس من قِبَل مكسيم ، ويوهمه أن سيده ألقى بنفسه في نهر التبر كراهة للحياة بعد اقتراف جريمتين : جريمة التآمر وجريمة الوشاية . فيدهش الامبراطور ويناجي نفسه بالأمر نجوى جميلة ، ويقلب الرأي فيما يحسن أن يفعل ، فتنصحه زوجه بالعفو فانه أجدر بالقادر ، ولكنه يخرج على غير رأي ، وتخلفه أميلي على المسرح ، ويدخل عليها مكسيم يتضرع اليها أن تفر معه فتأبى الا الوفاء لسنا . وتعرف من الواشي الخيانة فتحتقره ، ويندم مكسيم على إطاعته مولاه فيعزم على قتله قبل أن يُقتل هو

الفصل الخامس : يجمع الامبراطور رأيه على أن يمن بالعفو فيدعو اليه سنا ويذكره بنعمه عليه ، وطول إحسانه إليه ، ويعجب أن يكافئه على حسن صنيعه بقتله . فيحاول سنا أن ينكر ، ولكن أغسطس يظهره على أنه يعلم سر المؤامرة . وتدخل حينئذ أميلي فتحمل تبعة المؤامرة وتعلن أنها تثأر لأبيها . ويبرئها سنا ويقرر أنه هو المسئول عن تدبيرها وحده . ويظهر مكسيم فيعترف بخيانته ، وتتحرك في قلب أغسطس عواطف الكرم والاريحية فيعفو عنهم جميعا ، وهو يقول : أنا سيد نفسي كما أنا سيد العالم !

***

بوليكت Polyeucte موضوعها استشهاد القديس بوليكت من اضطهاد الامبراطور (ديس) ، ومغزاها انتصار الايمان على الحب . وقد وقعت حوادثها في ميليتين عاصمة أرمينية في قصر فيلكس عام ٢٥٠ للميلاد ، وأهم أشخاصها فيلكس أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني وحاكم أرمينية ، وبليكت أمير أرمني وزوج ابنة فيلكس ، وسيڤير فارس روماني وحظي الامبراطور ، ونيارك أمير أرمني وصديق بوليكت ، وبولين بنت فيلكس وزوجة بليكت .

الفصل الأول : اعتنق بليكت الدين المسيحي ولكنه لا يجرؤ على الخروج إلى المعمودية ، مخافة أن يؤلم زوجته بولين . فقد رأت فى النوم رؤيا مروعة أخافتها على حياة زوجها فمنعته من الخروج . ولكن صديقه نيارك يلح عليه فيذهب معه خفية . وفى غيبته تقص بولين على وصيفتها الحلم الذى أزعجها ، وتعلن إليها أنها أحبت سيڤير وهى فى روما ، ولكن أباها رفض أن يصادق على زواجه منها ، ثم قدمت أرمينية مع أبيها وفى ظنها أن سيڤير مات ، فتزوجت من بليكت ؛ وفى الليلة البارحة رأت فيما يرى النائم أن سيڤير منتصر وأنه منتقم . ويدخل عليها أبوها فيخبرها بقدوم سيڤير وبحظوته عند الامبراطور ، ويخشى أن يعزله من منصبه لتزويجه ابنته من غيره ، ويطلب إلى ابنته أن تحسن استقباله وتكفكف من غربه

الفصل الثانى : ينزل سيڤير فى قصر الحاكم ، ويعلم بزواج بولين فيملكه الذهول والدهش ويريد أن يراها . فاذا ما لقيها تعترف له بأنها تزوجت من بوليكت نزولاً على حكم أبيها ولكنها أحبته منذ تزوجته ، وتطلب إلى سيڤير ألا يراها مرة أخرى وفاء لزوجها فيتركها بعد أن يتمنى لها الخير . ويعود بوليكت من المعمودية فلا يرتاب فى حضور سيڤير لثقته بزوجه ؛ وتأتيه دعوة إلى حضور القربان الذى يقدمه الحاكم ابتهاجاً بانتصار سيڤير ، فيذهب إليه مع صديقه نيارك ، وفى نيته أن يحطم الأصنام

الفصل الثالث : وبينما يعبث القلق والخوف بقلب بولين إذ تدخل عليها وصيفتها فتخبرها بأن نيارك وبليكت حطما الأوثان على ملأ من الشعب . ويستقل الغضب بفيلكس فيحكم على نيارك بعذاب الموت . ويعلن إلى ابنته أن بليكت إذا لم يرعو عن زيغه ويتعظ بمصير صاحبه حل به ما حل به ، ثم يريدها على أن تعيده إلى حظيرة الوثنية ، وإلا خشى أن يسخط الأمبراطور عليه إذا تساهل فى أمره

الفصل الرابع : تُعلن إلى بوليكت زيارة بولين . فيخشى دموعها أكثر مما يخشى تهديد فيلكس ، ويبعث فى طلب سيڤير . وفى غضون ذلك يعبر عن عواطفه الدينية بقطعة من الشعر الخالد وينبو على حنان زوجته . ثم يطلب لها الهداية ، ويرجو سيڤير أن يتزوج من بولين ، فقد صمم على أن يموت فى سبيل عقيدته ، ولكن بولين تصرح أنها لا تتزوج رجلاً كان سبباً فى موت زوجها ولو غير عامد . فيقرر سيڤير فى نفسه أن يسعى فى نجاة خصمه ليكون أهلاً لحب بولين

الفصل الخامس : ولكن فيلكس يظن أن سيڤير لا يطلب العفو عن خصمه إلا تدبيراً لمكيدة ، فهو يخشى أن يرميه عند الأمبراطور بالتساهل والمحاباة . فيدعو اليه بليكت ويحاول أن يفتنه عن دينه ، وتساعده بولين بدموعها فما يرجعان بطائل ، ويمشى بليكت إلى الموت مشية الظافر ، وتتبعه بولين ثم تعود إلى أبيها بعد أن شهدت زوجها يموت ، فتوبخه على وحشيته وتعلن إليه أنها مسيحية ، ويهدده كذلك سيڤير على عدم اعتداده برأيه وقبوله لشفاعته ، فيتنصر فيلكس أيضاً ويستعد للموت . ولكن سيڤير يؤثر فيه هذا المشهد فيطلب إليه البقاء فى منصبه ، ويعده أن يمنع الأمبراطور عن اضطهاد المسيحيين .

مآسى راسين

أندروماك Andromaque موضوعها حادثة من الحوادث التى أعقبت حرب طروادة وهى سبى أندروماك أرملة هكطور فى أبيريا . وقد وقعت حوادثها فى بطرون من مدائن ابيريا فى غرفة من قصر بيروس . وأهم أشخاصها أندروماك أرملة هكطور وسبية بيروس ، وبيروس بن أخيل وملك أبيريا ، وأوريست بن أغاممنون ، وهرميون بنت هيلين وخطيبة بيروس ، وبيلاد صديق أوريست

الفصل الأول : بيروس يهوى أندروماك التى سباها بعد سقوط طروادة ، وجلبها إلى أبيريا مع ولدها استيانا كس ، ويهجر خطيبته هرميون بعد أن شغفها حباً . ويقدم أوريست عاشق هرميون إلى بيروس موفداً من الأغريق يطلب منه تسليم استيانا كس ليقتلوه ، فيأبى الملك تسليمه ، وينبىء أندروماك بالخطر الذى يترصد ولدها ، ويأخذ على نفسه أن يحميه على شرط أن ترضى به زوجاً . ولكن أندروماك ترفض إخلاصاً لذكرى زوجها الأول ، فيثور الغضب فى وجه الملك ويخرج وهو يقول : إن الولد سيكفر عن احتقار الأم .

الفصل الثانى : تتلقى هرميون الأمر من أبيها بالعودة مع الأغريق اذا أبى بيروس أن يسلم استيانا كس . فيرفض بيروس ، ولكن هرميون ترفض أن ترحل لأنها تغار من اندروماك . على أنها تلين لألحاح أوريست خطيبها الأول ، فيزهوه النصر . ولكن

بيروس يحنق على اندروماك لأبائها ، فيعلن الى أوريست أنه يسلم استياناكس ويتزوج من هرميون .

الفصل الثالث : يتحرق أوريست من اليأس ، وتطفر هرميون من الفرح ، وتتقطع أحشاء اندروماك من الحزن ، وتتوسل الى هرميون أن تنقذ ولدها ، فتدفعها هذه باحتقار ، فتذهب الى بيروس فتجثو بين يديه وتسأله ولدها ، فيرضى أن يدفعه إليها إذا قبلت أن تنتظره عند الهيكل ، وهناك إما أن تربح التاج ، وإما أن تخسر الابن ، فتذهب اندروماك مشردة اللب الى قبر هكطور تستشير روحه .

الفصل الرابع : تستكين اندروماك ابتغاء حياة ولدها ، وترضى أن تتزوج بمبيد أسرتها على نية أن تنتحر بعد الزفاف ، وترغب وصيفتها أن تموت هي أيضاً ، ولكنها تنصح لها أن تعيش لتنفع استياناكس ، ولتمكن له عند بيروس ، ولتحدثه عن أبطال قومه . ويثور ثائر هرميون فتطلب من أوريست أن يقتل بيروس على أن تتزوجه من بعده ، فيتردد طويلاً ثم يطيع .

الفصل الخامس : يذهب أوريست مع الأغريق الى الهيكل فيقتل الملك ثم يعود ، فيقص على هرميون ما فعل ، فتقابله بالازدراء وتصفه بالخيانة ، ويصيبها الخبال من الحزن واليأس فتطعن نفسها بالخنجر فوق جثة الملك ، ويرى أوريست نفسه محاطاً بالأشلاء والدماء ، فيضل عقله ويفقد صوابه . ويسدل الستار على هذه الفاجعة الأليمة .

* * *

(أثالى : Athalie) موضوعها حادثة من تاريخ بني إسرائيل وهي موت أثالى وتتويج جواس في القرن الرابع قبل المسيح . وذلك أن أثالى بنت آكاب ، وأرملة جورام ملك يهودا ، ذبحت أبناء ولدها أوكزياس جميعاً بعد موته ليخلو لها الطريق إلى العرش والسلطان ، ولم تدر أن واحداً منهم أخطأه القدر ، فأنجته (جوزابيت) عمته وزوج الكاهن الأكبر جُوَّاد ، وربته هي وبعلها سرا في معبد أورشليم باسم إلياسين حتى جاء يومه فرفعاه على عرش أبيه . وأهم أشخاصها جواس ملك يهودا وابن أوكزياس ، وأثالى أرملة جورام وجدة جواس ، وجواد كبير الكهنة ، وجوزابيت عمة جواس وزوجة جواد ، وزكريا بن جواد ، وسالوميت أخت زكريا ، وأبنير ضابط من ضباط الملك ، وقد وقعت حوادثها في معبد أورشليم في دهليز مسكن الكاهن الأكبر .

* * *

الفصل الاول : يظل أبنير قائد جيش أثالى مخلصا الدين لله . وفي يوم عيد العنصرة يبكر بالذهاب إلى الهيكل فيلقى هناك جواد ، فيفضي اليه بمكنون صدره من الأسف على الماضي ، والأسى على الحاضر ، والانكار لما اقترفت أثالى من ظلم ، وأحدثت من بدع ، ويبدى لهما يساوره من الخوف عليه من سطوتها وبغيها . فيهدىء الكاهن روعه ويجدد أمله ، ويعده أن يبوح إليه بسر خطير في الساعة الثالثة من النهار . ثم يصرح لزوجته بأنه سيعلن نسب جواس في ذلك اليوم نفسه . وتشدو القيان بتمجيد آلاء الله وإعلاء دينه .

الفصل الثاني : تجيء أثالى الى الهيكل فيغلق الكاهن دونها أبوابه ، فتظل في الفناء مع أبنير وماتان ، وتقص عليهما أنها رأت حلماً أزعجها وراعها : رأت أن أمها إيزابيل جاءتها في المنام منذرة بحلول كارثة فادحة . ثم ظهر لها بعد ذلك غلام طعنها بخنجره في أحشائها طعنة قاضية . وما كان أشد عجبها ودهشها حين ترى في الهيكل شبيه الغلام الذي طعنها ! فينصح لها ماتان أن تقتله . ويشير عليها أبنير أن تدعوه وتسأله ، فتأمر به وتستفهمه عن أمره . ولكنه لا يقول أكثر من أنه يحب الله ويبغض الأوثان وأهل الشر ثم يذهب . فيشتد قلقها وفرقها من هذا الجواب وتخرج . فيطهر الكاهن الأكبر الهيكل من أثرها النجس . ثم تشدو القيان بسعادة الأبرار وشقوة الفجار .

الفصل الثالث : يفد ماتان من قِبَل أثالى على كبير الكهنة يطلب منه تسليم الغلام رهينة الصلح بين الملكة وبينه ، فيطرده الكاهن طردا قبيحا فيذهب مهددا ، ويوقظ شكوك أثالى فيه . فيشتد الخطر ويفدح الأمر . ولكن جواد يزداد بالله إيمانا وثقة ، فيُطمئن امرأته ويتنبأ بسقوط أورشليم وقيام الكنيسة المسيحية . ثم يأخذ في أسباب التتويج ويحرض اللاويين على القتال دفاعاً عن الهيكل ، وتنشد القيان أناشيد الخوف والرجاء

الفصل الرابع : يعلن الكاهن إلى جواس حقيقة مولده ، ويبصره بحقه وواجبه ، ويقدمه إلى اللاويين ولياً لعهد داود ، ويأخذ عليهم الايمان أن يؤازروه وينصروه . وما هي إلا لحظة حتى يحمل إليه لاوى خبر محاصرة الهيكل بجنود أثالى . فتضطرب جوزابيت جزعاً على جواس ، وينظم الكاهن صفوف المدافعين ، وتنشد القيان نشيد الغوث والمعونة من الله .

حول ١٤ سبتمبر

للأستاذ محمد محمود جلال

دعوت الله ألا أرى القاهرة فى الرابع عشر من سبتمبر. وكنت مقيماً بين مزارعى وشواغلى إلى الثانى عشر منه، فجد لى عمل هام يقتضيني سفراً اليها قد يستغرق يومين أو ثلاثة.

لست أكره الذكرى، بل أعمل لها، وعقيدتى أن ذكريات المحن كذكريات المنح فى نتيجتها. لأنها تشحد العزائم وتبعد تكرار الأخطاء؛ وليست ذاكرتى بالضعيفة، وإنما تعذبنى فى الواقع بشدة إحساسها، ولكنما خيل إلىّ أن أعصابى لا تحتمل شهود العاصمة المحبوبة فى ذلك اليوم!!! كبر على أن أشهد المدينة القاهرة الزاهرة التى عاش أهلها فى طهارة الاستقلال وعزه، يعيشون منذ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ غارقين فى رجس الاحتلال وذله...

ما كدت أصل القاهرة مساء الثانى عشر من سبتمبر حتى استعرضت برنامج عملى على أن أعجل منه ما أستطيع وأرجىء منه ما لا يضيره إرجاء. فلما أصبحت أسرعت الى عملى وفرغت منه فى نحو العاشرة صباحاً، وذكرت على التو أن قطاراً يغادر القاهرة إلى بور سعيد فى الحادية عشرة، وفى هذا زوال ما أخشى.

وأزمعت السفر لأعود بأسرتى من المصيف وقد قرب افتتاح معاهد الدرس، وخيل الىّ أنى سأتلافى بسفرى جواً خانقاً ويوماً من الدهر حانقاً!..

سيتحقق إذن ما تمنيت على الله، فلا أكون بالقاهرة يوم تشرق شمس جاء أصيلها على البلاد بمحنة المحن. فاذا جيش الاحتلال يدخل قلب البلاد، وإذا نائب عن الخديو يلازم الجيش!!.. وهل شر من احتلال أجنبى يظله اضطراب لا يستقيم معه فكر، ولا يتسق وإياه منطق؟!!.

الفيكونت ولسلى يرفع لانجلترا فى قلب مصر راية؛ وسلطان باشا يؤمن تلك الراية باسم الخديو!. وأين عرابى وأين الجيش؟ وفيم كانت الحرب؟ وأى فكرة تنطبع فى ذهن البلاد لصورة هى التناقض بذاته فوق ما تحمل من عار؟.

والله ما ابتلى شعب بمثل ما ابتلى به شعبنا فى ميدانى المادة والمعنى، ولولا أن الشعب كان قوياً بدينه وتقاليده، عظيماً بآثار المحن الغابرة فى عزائمه، عزيزاً بكرامته؛ لنالت منه الأحداث أضعاف ما نالت؛ ولو حلت بغيره لأفنته.

***

جلست فى القطار أتسلى بالقراءة، واتفاقاً بدأت بكتاب صغير اشتريته من (كشك) ليفاداس بالمحطة — مؤلفه فرنسى — والكتاب عن حصار «باريس» سنة ١٨٧٠.

أخذت أقرأ وفى نفسى أنى واجد فى وطنية الفرنسيين الهائمين بعاصمتهم وبمجدهم، وفى كفاءة الألمان وحسن تنظيم جيوشهم خير عبرة وتسلية. ولقد أجاد المؤلف فى المقدمة، وفى وصف الحالة العامة، ثم إذا به فجأة يتكلم عن باريس فى ١٩ سبتمبر، فيصف الطوارىء، وحالة الرأى العام وصعوبة التموين، وضعف خطوط الدفاع!.

إذن مازلنا فى شهر سبتمبر! ولازالت هناك سلسلة من هموم فى ثناياه إذا خلفتها فى القاهرة ذكرتها عن باريس فى محنة مماثلة! وفى المثل: يؤتى الحذر من مأمنه.

ما عتمت أن تمثلت بالكلمة الخالدة التى انتزعها من فم الرجل

الفصل الخامس: يدخل أبنير الهيكل المحصور سفيراً إلى الكاهن يحمل شروط أتالى الأخيرة وهى تسليم إلياسين، وتقديم الكنز المدفون فى الهيكل، فيجيبه الكاهن: لتدخل الملكة فتأخذ ماتشاء بنفسها. ثم ينصب فى أثناء ذلك عرشاً لجواس، وتدخل أتالى المكان المقدس يحف بها ثلة صغيرة من الحرس وهى تقول: أين الغلام وأين الكنز؟ فيريها الكاهن جواسَ على العرش، ويقول لها: هذا كل ما بقى من كنز داود! فتحتدم الملكة من الغيظ وتصيح: ياللخيانة!! ياللجند! ولكن الجنود يأخذهم الفزع فيتمزقون شر ممزق، ويقبض اللاويون على الملكة ويسحبونها خارج الهيكل، ويذيقونها عذاب الموت بما كسبت؛ ويقول جواد لجواس فى كلام طويل: «لا تنس يامالك اليهود أن للملوك قاضياً جبارا، وللبرىء منتقما عزيزا، ولليتيم أبا رحيما.!!»

(يتبع) الزيات

الحزين سيدنا كعب بن مالك — خطابٌ عاهل غسان اليه ؛ فقلت معه رضى الله عنه : « وهذا أيضاً من البلاء » (١)

يقول المسيو « سارسى » مؤلف « حصار باريس » بعيد إعلان الجمهورية : « وبينما يشتد ضغط الجيش البروسى وتتوالى انتصاراته وتكتمها الحكومة عن الشعب كنت كثيرا ما تسمع واحدا يقول لرفيقه : (إنهم لن يجرؤا على دخول باريس مادمنا حصلنا عليها) أى ما دمنا أعلنا الجمهورية فلن يجرؤ البروسيون على فتح باريس . »

وهكذا تلهى الباريسيون بأعلان جمهوريتهم عن الغرض الأساسى وهو حماية باريس من هجوم الأعداء .

أوَ لَمْ نصب بهذا يوم أطلق سراح المرحوم سعد باشا زغلول وصحبه . ويوم ذهب اللورد ملنر يفاوض الوفد ، ثم يوم أعلن الدستور سنة ١٩٢٤ ففترت ثورتنا وتشتت شملنا ؟

كان لأحد أدباء باريس فى ذلك العهد غرام بجمع المؤلفات الأدبية ذات الغلاف الأنيق . فاقتنى منها ما يعد ثروة ضخمة رتبها فى منزل بجوار باريس . ثم صدق ما كانت تردده الصحف من استحالة باريس على الهاجمين فمضى فى تنسيق تراثه . ثم إذا به بين يوم وليلة يتحقق أن الصباح قد لا يشرق إلا مغبراً بخيل العدو . أسرع بما استطاع حمله ، وآوى إلى أول فندق ثم استراح الراحة الأبدية ، فقد وجدوه ميتاً فى بكور الصباح . وكان بذلك مجدود الحظ سعيداً . فلم ير سنابك الأعداء فى العاصمة الحبيبة

وإذن لست أول الناس فى هذا الشعور الذى أقض مضجعى قبيل ١٤ سبتمبر ولو أنى لم أحظ بنصيبه ، فلعل الله يرينى يوماً ميموناً بالخلاص .

* * *

أغرق أهل باريس فى تحية الحكومة الجديدة بقدر ما أسرفوا فى الطعن على الأمبراطورية وما جرت من ويلات ، حتى رسخ فى ذهن الجمهور أن بروسيا لا تحارب فرنسا ، ولكنها تحارب الامبراطورية .

وقد يعجب القارئ إذا علم أن الأمبراطورية التى باتت مثالاً للشقاء فى أعين الفرنسيين هى النظام بذاته الذى تأيد بثمانية ملايين من أصوات الناخبين قبل ذلك بشهر

ولقد كان موقف نابليون الثالث شبيهاً بموقف عرابى باشا ، ولعل الخير كل الخير كان فى أن يموتا فى ميدان القتال .

ليست العبرة فيما ينفع أنه يرضى الناس بادى الرأى ، وإنما العبرة فى أن يكون نافعاً وكفى . ولا بد من تعويد النفس احتمال الكروب فى سبيل العقيدة ، وثبات العزم على صحيح الرأى

ألف الجنرال « تروشى » فى عهد الأمبراطورية كتاباً نقد فيه حالة الجيش وخطوط الدفاع من الوجهة الفنية نقداً أغضب الأمبراطور ورجال ذلك العهد حتى أضروه بسببه

فلما حوصرت باريس وبدا الضعف واضحاً فى خطوط التحصين عادت بالشعب ذاكرته إلى الجنرال المؤلف وإلى كتابه ، ووصل الرجل وكتابه إلى الذروة ، ولكن الوقت لم يكن يسمح يومئذ بتنفيذ شىء مما أشار به .

ولا بد لنا — لأحاطة أخلاقنا بسياج يقيها العثرات — أن نرجع البصر إلى خطوات الماضى ، وإلى عظات من سبقونا من رجالات مصر — فذلك كفيل بحسن التوجيه .

شىء من الثبات ، وعود إلى آدابنا القومية ، وتقاليدنا الشعبية ، وشىء من الشجاعة الأدبية ، لنقول للمخطىء أخطأت ، وللمصيب أصبت .

جعل الله لنا فى الماضى عظة ، وفى الحوادث عبرة . وجمع على الحق شتاتنا إنه كريم مجيب ؟

محمد محمود جلال

المحامى

---

(١) خلد الصحابى الجليل فى سجل التاريخ مثلا أعلى لمتانة الخلق والثبات والصدق : أسلم وحسن إسلامه . ثم جاهد ، ثم تخلف عن إحدى الغزوات عن غير نية مبيتة . فلما مثل بين يدى الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام قدم بأنه أوتى جدلا ، ولكنه يصدق نبى الله الحديث فيعترف بأنه كان معافى قويا ممونا ولكنه تخلف . يعترف وقد يغضب الرسول ولكنه لا يحب أن يكذب فيسخط الله .

قاطعه المسلمون ، ولا يشرفه النبى بكلمة . وبوعد بينه وبين زوجه — يسير فى الأسواق فلا يجد من يرد عليه تحيته . وهو فى كل ذلك صابر واثق من نفسه مقتنع بصدق نيته وهو فى هذه الحالة من القطيعة يسمع مناديا باسمه ، فاذا تطلع اليه دفع اليه النادى كتابا من ملك غسان يغريه بالهجرة اليه . يقول له « إن الله لم يجعلك بدار هوان فامض الينا نواسك »

ولكن كعبا رضى الله عنه يرى فى عقيدته ومبدئه حصنا ومناعة فيأخذ الكتاب ويترقرق الدمع فى عينيه ويقول : « وهذا أيضاً من البلاء » ثم يمضى إلى تنور فيسجر فيه الكتاب .

من اللزوميات :

من أبى العــــلاء

الى الشاعر التونسى محمـــد الحليوى

(أبا العلاء ، أحقاً أنت فى دعـــة   من الخطوب وفى سلم من الكرب)
« الحليوى »

أبا فلان ! جزاك الله صالحة   فان وصلك حبلى أطيبُ القُرَب
هذا جوابك — لكنى أُسِرُّ به   فاشحذ لتسمعنا أذنيك واقترب
(قدعشتُ رهن العمى والحبس) منقبضاً
عن رفقة طبعهم أعدى من الجرب
لم أعدُ أنى عددت القوم مذ نضحت   حمقاً جلودهمو صنفاً من القِرَب
وما يضير الورى أن بت مكتفياً
من الطعام بمثل الصَّرْب والصَّرَب [1]
أغربت عند أناس من غباوتهم   بأنى رِزْت عود النبع والغرَب [2]

* * *

أمّا الولاة ، فقوم أنت تعرفهم !   يُمنى مخالطُهم بالويل والحَرَب
كم سارب منهمو خوفاً وآمننى
فى السِّرْب أنى اتخذت الدار كالسَّرَب [3]

* * *

فدع (أُلُمْبَكَ) [4] إنى لست أعرفه ،
من لى بذاك ، وصحن الدار مضطرَبى [5]
وما مررت بقصّاص فأسمعنى   ألا وألفيتنى أمعنت فى الهرب
فليس يعمر قلب بات يملؤه   بالإفك يصدره عن قلبه الخرب

---

(١) الصرب والصرب : اللبن الحامض والصمغ (٢) أغرب : جاء بالغريب . والنبع والغرب شجر قوى وشجر ضعيف (٣) السارب : الذاهب على وجهه فى الأرض . السرب : النفس والجماعة . والسرب : البيت فى الأرض (٤) الخطاب للشاعر التونسى حيث قال :

(هى الحقيقة تحكى ربة ملكت   عرش الألمب على الأرباب والرسل)

(٥) المضطرب : المجال

قد عشت ما عشت رهن المحبسين ومن
يعاشر الناس باع التمر بالكَرَب [1]
فجـــاء يوماً أبو يحيى وفى يده
كأس مذاقتها أشهى من الضَّرَب [2]
فأسكرتنى بلا خمر وجدَّ بنا   من شربها طرب ناهيك من طرب
واذ بعينىَ عادت وهى مبصرة   واذ بذهنىَ ذهن الحاذق الذَّرِب
نظرت حولى فأبصرت الأُلى سبقوا   على غرار وإذ بالعُجم كالعرب

* * *

حتى إذا النفس ثابت بعد دهشتها   لاحت مجردة من ثوبها التَّرِب [3]
فراعنى أنها المرآة منعكساً   نور الحقيقة فيها غيرَ مضطرب
أمانة حملتها النفس قد خفيت   على البصائر لم تدرك من التَّرَب [4]
ما كنت مدركها لو لم أمت أبداً   أو كنت مبصرها أو بالغاً أربى
ومن يمت مرة فى الدهر واحدة   نال الخلود فما يخشى من الكُرَب

* * *

من يصقل النفس يكشف عن حقيقتها
ولست تكشفها بالمنطق الذَّرِب

مصطفى العلوى

---

(١) يعنى بالمحبسين : الدار والعمى . الكرب : أصول السعف . والمعنى باع القيم بما لا قيمة له (٢) أبو يحيى : كنية ملك الموت . والضرب العسل (٣) الترب : بالكسر المصاب بالتراب . والمراد بالبيت : أن النفس متى تجردت تدهش أولا ثم تثوب (٤) الترب : بالفتح الاصابة بالتراب . والمقصود بالأمانة هنا الحقيقة ، ويريد أن الحقيقة قائمة فى النفس ، وأن إدراكها ممكن .

من الأدب الأندلسي

التوابع والزوابع (١)

بقلم محمد فهمي عبد اللطيف

— ١ —

نشأ أبو عامر بن شهيد الأشجعي في الأندلس في قرطبة إحدى مدن العلم والأدب، وكان هذا الرجل أديباً مغموراً توغل في شعاب البلاغة وطرقها كما يقول ابن خاقان (٢)، وله في الأدب مجالس معمورة يبث فيها تعاليمه وآراءه، ويا لها من تعاليم قيمة، وآراء مبتكرة، ولكنه كان مبتلى بحقد جماعة من معاصريه قصروا عن شأوه فناصبوه الخصومة، فكان وهم كما يقول.

وبلّغت أقواما تجيش صدورهم عليّ وأني منهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولي فأسمعت معجزاً وغاصوا على سري فأعياهمو أمري

ولكنه لم يلبث أن ضاق صدره بهم، وشغله أمرهم، فأصلاهم ناراً حامية من التهكم المر والتعريض اللاذع، وتفنن في الانتقاص من قدرهم، والحط من شأنهم، وتحداهم بآرائه في النقد والبيان، وازدهى عليهم بقدرته في الشعر والنثر، وساق ذلك كله في قصة خيالية زعم أنها وقعت له في وادي الجن، وأن حوادثها جرت بينه وبين شياطين الشعراء والأدباء — هذه القصة هي «التوابع والزوابع» موضوع بحثنا اليوم — وهي رسالة أدبية ممتعة تعد من خير ما خلف في تراثنا الأدبي قوة وجدة وطرافة.

ولما كان في التوابع والزوابع شبه من رسالة الغفران، وكان عصر ابن شهيد مندرجاً في عصر المعري، رجح لدى الأدباء أن يكون أحد الرجلين ضرب على غرار الآخر، وانساق مع تياره، فاهتموا ببحث الصلة بين الرسالتين، وتلمسوا فضل الأسبقية للسابق من الرجلين، وكان من رأي الدكتور أحمد ضيف أن ابن شهيد هو الذي احتذى شيخ المعرة وحاكاه، واحتج لذلك بأن شهرة أبي العلاء كانت ذائعة في الخافقين، وقد كان أهل الأندلس مولعين بتقليد المشارقة في آدابهم وأفكارهم بل وفي كل شيء؛ ولكن الدكتور زكي مبارك أمعن في البحث والتدقيق، ونظر الى المسألة من جانبين: الجانب الأول التاريخ الذي وضعت فيه التوابع والزوابع وقد استخلصه بالتقريب من قول صاحبها يخاطب جنية «من إخواننا من بلغ الامارة، وانتهى الى الوزارة». قال: وفي هذا اشارة الى أنه وضعها وهو كهل، أي بعد سنة اربعمائة واثنتي عشرة للهجرة (١)، وأما الجانب الآخر. فهو التاريخ الذي كتبت فيه رسالة الغفران، وقد قال في تحقيقه: إن هذه الرسالة كانت جواباً على رسالة ابن القارح، فاذا علمنا بأن هذا الرجل وضع رسالته بعد أن نيّف على السبعين كما وقع في ثنايا كلامه، واذا علمنا بأنه ولد سنة احدى وخمسين وثلثمائة، ثبت لدينا أن رسالة الغفران كتبت حوالى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، أي بعد التوابع والزوابع بنحو عشر سنين، وعلى هذا صار من المرجح أن يكون أبو العلاء هو الذي قلّد ابن شهيد..!!

فالدكتور زكي مبارك قد أنصف ابن شهيد حقاً، واستطاع أن يثبت له فضل السبق على صاحبه، ولكنه لم يستطع أن يثبت تهمة التقليد التي رجحها على المعري، وهي تهمة كبيرة لو صحت لكان لها شأن كبير في الأدب، خصوصاً إذا طاوعنا الذين يقولون بأن «دانتي» و «ملتن» — أخذا عن المعري في «الكوميديا الالهية» و «الفردوس المفقود» والواقع أنه ليس في الرسالتين ما يدل على تقليد أو محاكاة؛ نعم إن بينهما شبها في بعض الوجوه، فكل منهما عبارة عن سياحة خيالية إلى عالم آخر، كما أن في كل منهما عرضاً لكثير من المشاكل الأدبية واللغوية، وزيادة على ذلك فقد اهتم كل من الرجلين بالتهكم بمعاصريه في رسالته؛ ولكن هذا كله تشابه في أمور عامة تتوارد فيها الخواطر غالباً، وربما تكون من وقع الحافر على الحافر كما يقولون. ولو أنك نظرت الى وجه الخلاف بين الرسالتين لرأيته أقوى وأدل على

(١) التوابع جمع تابع أو تابعة وهو الجني أو الجنية يتبع الانسان، والزوابع جمع زوبعة وهي الشيطان أو رئيس الجن
(٢) مطمع الأنفس ص ١٦

(١) ولد ابن شهيد سنة ٣٨٢ هـ

تباعد الرجلين واستقلالهما فى الفكر والغرض ؛ فقد قصد المعرى فى سياحته الى الفردوس والجحيم فى العالم الآخر ؛ وذهب ابن شهيد إلى وادى الجن فى عالم الحياة ؛ واختار المعرى أشخاص قصته من الرواة والشعراء والملائكة ، وارتضاهم ابن شهيد من الشياطين — شياطين الشعراء والأدباء ، وعنى المعرى بالتعرض لكثير من المسائل الفلسفية والدينية ، ولم يتعد ابن شهيد القول فى البيان والنقد والشعر ، وكتب المعرى رسالته بأسلوب وحشى غريب فلا يستطيع القارىء أن يأتى عليها إلا بشق النفس ، وقوة الصبر ، وبعد الاستعانة بمعاجم اللغة ، وساق ابن شهيد قصته فى أسلوب عذب رقيق يخلق اللذة فى نفس القارىء ، ويدفع به إلى استيعابها بلا ملل أو سآمة ؛ ولقد أظهر المعرى كثيراً من التباهى بحفظ الغريب والتمكن فى قواعد النحو والتصريف ، وأطال ابن شهيد القول فى الغض من قيمة هذه الأمور وتحقير الذين يجعلونها كل همهم ؛ ثم بعد هذا كله لا تجد فى إحدى الرسالتين فكرة اشتملت عليها الأخرى ، أو رأيا اتفق لكل من الرجلين ؛ فلكل منهما فضله فى عمله ، ولكل منهما شخصيته فى رسالته ؛ وأظن فى ذلك ما يكفى لدفع تهمة الأخذ والتقليد ، سواء أكانت فى جانب ابن شهيد كما يقول الدكتور ضيف ؛ أم ناحية المعرى كما يريد الدكتور زكى مبارك . وحسبى بعد هذا أن أفرغ معك للحديث عن التوابع والزوابع ، وأن أستعرض أمامك ما احتوته من الآراء والأفكار ؛ ويقينى أنك ستجد فيها كثيرا من الأبداع والأمتاع ، بل سترى شيئاً جديداً يثمره الفكر العربى ، وستشهد لصاحبها بالدقة فى الوصف ، والقوة فى التصوير ، خصوصاً وصف أحوال الشعراء السابقين ، وتصوير ميولهم ونفسياتهم ، وستعجبك منه روح خفيفة ، ونفس مرحة طروب يلذ لها أن تضحك فتجيد الضحك ، ويهمها النادرة الحلوة فتوفق كثيرا الى حلاوة النادرة وبراعة النكتة .

استهل ابن شهيد رسالته بمقدمة قصيرة أراد أن يبين فيها كيف وقعت له حوادثها ، وكيف رحل إلى وادى الجن فقال : « كنت فى أيام الحداثة أحن إلى الآداب ، وأصبو إلى تأليف الكلام ، فاتبعت الدواوين ، وجلست إلى الأساتيذ ، فنبض فىّ عرق الفهم ، ودرّ لى شريان العلم ، ويسير المطالعة من الكتب يؤيدنى ، إذ صادف شن العلم منى طبقة ، ولم أكن كالثلج تقتبس منه ناراً ، ولا كالحمار يحمل أسفاراً ؛ وكان لى فى أوائل صبوتى هوى اشتد له كلفى ، ثم لحقنى بعض ملل فى أثناء ذلك الميل ، فاتفق أن مات من كنت أهواه مدة ذلك الملال ، فجزعت ، وأخذت فى رثائه فقلت :

تولى الحمام بظبى الخدور وفاز الردى بالغزال الغرير

إلى أن انتهيت إلى الأعتذار من الملل الذى كان فقلت :

وكنت مللتك لا عن قلى ولا عن فساد ثوى فى الضمير

ثم أرتج على القول ، فاذا أنا بفارس بباب المجلس ، على فرس أدهم قد اتكأ على رمحه ، فصاح بى أعجز يا فتى الأنس ، فقلت لا وأبيك ، للكلام أحيان ، وهذا شأن الأنسان ؛ فقال قل بعده :

كمثل ملال الفتى للنعيم إذا دام فيه وحال السرور

فأثبت إجازته ، وقلت : بأبى من أنت ؟ قال : « زهير بن نمير » من أشجع الجن ، تصورت لك رغبة فى اصطفائك ؛ قلت : أهلاً بك أيها الوجه الوضاح ، صادفت قلباً إليك مقلوباً ، وهوى نحوك محبوباً ، وتحادثنا ، وتذاكرت معه أخبار الخطباء والشعراء ، ومن كان يألفهم من التوابع والزوابع ، وقلت له هل من حيلة فى لقاء من اتفق منهم ؟ قال حتى أستأذن شيخنا ، وطار عنى ، ثم انصرف وقد أذن له فقال حل على متن الأدهم فسرنا عليه ؛ وسار بنا كالطير يجتاب الجو فالجو ، ويقطع الدوّ فالدو ، حتى لمحت أرضاً لا كأرضنا ؛ وشارفت جواً لا كجونا ، متفرع الشجر ، عطر الزهر ، فقال : حللت أرض الجن أبا عامر ، فبمن تريد أن تبدأ ؛ قلت : الخطباء أولى بالتقديم ، ولكنى إلى الشعراء أشوق . . »

وابن شهيد كما ترى يحاول الايجاز فى سرد الحوادث ، ويود أن ينطلق على طبيعته فى إيراد القول ، ولكنه لم يوفق كثيراً فى هذه المقدمة كما يود ، وكما وفق فى عرض الرسالة ؛ فظهر على أسلوبه مسحة التكلف ، ووقعت بعض جمله قلقة نابية ، كأنه كان يدفع بها إلى غير موضع ، ويضعها حيث لا مستقر ؛ فمثلاً فى قوله : « ويسير المطالعة من الكتب يؤيدنى ، إذ صادف شن العلم منى

طبقة ، ولم أكن كالثلج تقتبس منه ناراً ، ولا كالحمار يحمل أسفاراً » ثقل يحس به القارئ في اللسان وفي الذوق ؛ وزيادة على ذلك فقد اضطرب الرجل في وضع الكلام ، واختل به نهج القول . ألا تراه يقول في بدء كلامه « كنت في أيام الحداثة أحن إلى الآداب . . » ، ويسير في الحديث عن هذه الكينونة ؛ كأنه رحل إلى وادي الجن غض الأهاب ، نضر الشباب ؛ مع أنه فيما بعد سيشكوا إلى إحدى التوابع ما فعلت الأيام به ! ! وسيذكر لها أن من إخوانه من بلغ الامارة ، وانتهى إلى الوزارة ! وفي هذا ما يفيد أنه طعن في الكهولة على أقل تقدير ثم نجده يصف صاحبه « زهير بن نمير » بأنه من أشجع الجن ، وكان الأوفق بداهة أن يجعله في الأدباء ، مادام القول في الأدب والشعر وما دام الحديث عن الأدباء والشعراء .

ولكن هذه هنات هينات . على أنها ترجع الى العرض ، ولا تمس الجوهر في شيء ، وقد تكون هي كل ما في الرسالة من المآخذ ؛ ولقد سلك الرجل طريقه بعد ذلك على أحسن ما يكون ؛ يجد ويهزل ، ويتهكم ، ويضحك . ويعالج كثيراً من الآراء العميقة ، والأفكار القويمة ؛ وهو في كل ذلك طريف خفيف ؛ ملء قلمه الفصاحة والبيان ، وملء تعابيره البلاغة والايجاز السليم ؛ ولقد حدثنا بعد هذه المقدمة أنه لما نزل بوادي الجن ، ورغب في البدء بلقاء الشعراء ؛ طلب من صاحبه «زهير بن نمير» أن يقدمه الى عيينة بن نوفل شيطان امرىء القيس ، فصاح به زهير : ياعيينة بن نوفل(١) ، أقسمت عليك بسقط اللوى فحومل ويوم دارة جلجل ؛ ألا عرضت لنا وسمعت من الأنسى ، وعرفتنا كيف إجازتك له — يقول ابن شهيد — فظهر لنا فارس على شقراء كأنها تلتهب ، فقال حياك الله يا زهير وحيا صاحبك ، أهذا هو وحق أبي ؟ ثم قال أنشد ، قلت : السيد

(١) الذي في كتب التراجم أن شيطان امرىء القيس اسمه لافظ بن لاحظ

أولى بالأنشاد ، فتطامح طرفه ، واهتز عطفه ، وضرب عنان الشقراء ، ثم أنشد : « سما لك شوق بعد ما كان أقصرا(١) » حتى أكملها . ثم قال أنشد ، فهممت بالحيصة ، ثم اشتدت قوى نفسي وأنشدت : « شجته مغان من سليمى وأدؤر » حتى انتهيت فيها الى قولي :

ومن قنة لايدرك الطرف رأسها ... تزل بها ريح الصبا فتحدر
تكنفتها والليل قد جاش بحره ... وقد جعلت أمواجه تتكسر
ومن تحت حضني أبيض ذو شقائق ... وفي الكف من عسالة الخط أسمر
هما صاحباي من لدن كنت يافعاً ... مقيلان من جد الفتى حين يعثر

« للكلام صلة »

محمد فهمي عبد اللطيف

(١) مطلع قصيدة جيدة لامرىء القيس يشكو فيها الزمان وتنكر الخلان ويذكر رحلته الى قيصر الروم مع صديقه عمرو بن قميئة الضبعي الشاعر .

من طرائف الشعر

خمسة ...!

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

فجعت الأمة العراقية الكريمة منذ أسبوعين باستشهاد خمسة من طياريها البواسل ، سقطت بهم الطيارة على مقربة من مطار الهنيدي ، فرثاهم شاعر العراق الكبير بهذه القصيدة

(١)

خمسةٌ طاروا من عيون الشباب   فوق طيّارة كمثل العُقاب
أخذت في الجوّ الرفيع تَعالى   ثم خرّت من أوجها كالشهاب
إن ذاك الصعود في الجوّ منهم   كان للمجد والعُلا والغِلاب
صدمةٌ في هبوطها أهلكتهم   بعد أن حلقت بمجرى السحاب
لا ترى بعدها على الأرض منهم   غير أشلاء أو دمٍ مُنساب
انما أوقف المحرّكَ فيها   سببٌ قاهرٌ من الأسباب
هلكوا في شرخ الشباب فيا للـ   رزء لمّا عرا ويا للمُصاب

(٢)

فتيةٌ طارت تبتغي المجدَ ذخراً   ولأوطانها تخلّد ذكرا
فوق طيّارة تطوف بهم في الـ   جوّ هدّارةٍ فتشبه نسرا
كلما استذكرتُ الفجيعةَ أحسسـ   تُ من الحزن في فؤاديَ جمرا
ليس عندي ما أستقي منه شعري   غيرُ عينٍ من الكآبة عَبْرى
أنا في الحزن أرسل الشعرَ دمعا   ساخناً ثم أرسل الدمعَ شعرا
حسبُ مَن مات عند خدمته أو   طانَه أنه بها كان برّا
عاش مَن برَّ بالمواطن محمو   داً فان مات فهو بالحمد أحرى

(٣)

فتيةٌ صرعى فارقتها الحياة   فبكتها الآباء والأمهات
وبكاها العراق حزنا عليها   وبنوه ودجلةٌ والفرات
أينما ألتفتْ أشاهد شحوباً   في وجوه عيونها خَضِلات
شيّعتها الى مقابر شتى   عبراتٌ وراءها عبرات
إنما المجد لا يموت وإن كا   نَ ذووه لحادث قد ماتوا
أيها الشعب لا يثبّطك يأسٌ   انما في الموت المُلِمّ حياة
أيها النسر ما دهاك وقد كنـ   تَ اذا طرتَ لم يخنك الثبات

(٤)

هي دنيا كثيرة الإمتاع   وَدّعوها ولات حين وداع
وهو المجد بالمساعي اقتنوه   حبذا المجدُ يُقتنى بالمساعي
قد أضعناهم خمسةً ليس فيهم   مَن به رِعدةٌ فيا للضياع
مشهدٌ للحياة والموت يُشجي   ما به من تنازع وصِراع
لهف نفسي على شباب تردّوا   فنعاهم إليّ في الصبح ناع
شاع ذاك النعيّ حول الفراتين فأثقِلْ به على الاسماع
جنحت للغروب شمسُ نهاري   ثم منها لم يبق غيرُ شعاع

(٥)

وقف الموت للأنام رصيدا   كلّ يوم يريد منهم شهيدا
شطّت الدار بالأحبة عنا   وعسى مَن نأى بهم ان يُعيدا
فتيةٌ كادتها صروفُ الليالي   والليالي من شأنها ان تكيدا
أنا لولا شيخوختي ثم دائي   كل يوم نظمتُ فيهم قصيدا
حبذا الليل والنهار لو أنا   فيهما نستطيع ألاّ نبيدا
قد ظننت الذي ثوى يسكن القبـ   رَ قريباً مني فكان بعيدا
فات مَن قد رأى السلامَ رغيبا   أن يرى في الاخطار موتا حميدا

(٦)

حلّ يودي بخمسةٍ أطهار   قدرٌ نازلٌ من الاقدار
بنسورٍ قد حلقت قبل أن يؤ   ذن ضوء الصباح بالإسفار
خطرٌ كله الظلام ولكن   لا تبالي النسور بالأخطار
ركبوها طيّارةً لم تخنهم   في تمارينهم وفي التكرار
ما دهاها حتى هوت كشهاب   خَرّ من جوّه بلا انذار
ثم دارت بهم على نفسها بالرّ   غم عن كل حيلة الطيّار
ثم كان الذي به جرت الأقـ   دار من سقطةٍ لهم وبوار

(٧)

كلّ يوم تُعطى الحياةُ ضحايا   تبتغي إرضاءها بها للمنايا
إن هذا الجيل الذي نحن منه   هو من هاتيك الضحايا بقايا
نَبتغي تخفيفَ الرزايا بلهوٍ   نرتضيه فلا تخفّ الرزايا
لا أظن الحياةَ تلقى سلاماً   من بلايا وراءهنّ بلايا
ان مَن اعطانا العقولَ اذا ما   شاء أن نردى يستردّ العطايا
والذي أنشأ البرايا من البو   ر مُعيدٌ الى البوار البرايا
كِبرٌ شفّني فلم يبق عندي   غيرُ قلبٍ يئنّ تحت الحنايا

بغداد   جميل صدقي الزهاوي

في النقد الأدبي

الناقد الكبير ليسنغ

(Lessing)

حياته ومذهبه

(١٧٢٩ - ١٧٨١)

للأستاذ خليل هنداوي

ما عرف الأدب ناقداً كليسنغ جباراً صحيح المقاييس ، بليغ التأثير ، لا يبنى مذهبه على المدرسة الأدبية القائمة فى عصره ، وإنما يبنى مدرسته الجديدة لترتكز عليها مدرسة للأدب جديدة ، يوم لم يكن عند الجرمانيين أدب بارز . فحار النـاقدون فى تفهم هذا الناقد الذى افتتح أدب أمة عظيمة بالنقد ، وانما عهدهم أن يخلق الأدب النقد كما يخلق الأديب الناقد .

نشأ ليسنغ ميالاً فى بدء عهده إلى أدب الأوائل ، وما كاد يتمكن من هذا الأدب حتى تفتح لعينيه أفق جديد يريد استكشافه ، يحث معاصريه على السعى معه حثيثاً ليكون لهم مثل حظه من هذا الاستكشاف ، وما أصدق من قال : (كان الأدب الألمانى قبل ليسنغ مفازة يفتقر السـائر المتخبط فيها إلى هادٍ ، وهذا الهادى لم يكن إلا إياه) هذا الذى أنار المسالك وهدى الأدباء إلى سبيل فى الأدب قويمة ، يبـدى لهم مكامن الابداع ومواطن الخطأ ، وأسس الأدب الجديد على قواعد النقد ، وصاغ الشعر مزيجاً من الفن والأدب والفلسفة ، فـكانت نفسـه فى جميع حالاتها مصابة بطلب المعرفة ، هذه المعرفة التى ظن أنه لابدَّ ملاقيها ، فذهب وراءها فى أحناء الـكتب والصحف ، وتحرى عنها فى مشاهد الوجود .

دخل فى أول نشأته أحد الأديرة يتلقى اللغات القديمة التى كانت لب برامج التعليم القديم ، فأبدى منّ الذكاء والانتباه ماترك أساتذته فى دهشة منه ، حتى قال عنه أحدهم : (نحن لانستطيع أن نقوم بواجب الشكر لهذا الطالب ، فان الدروس التى كان رفاقه يستثقلونها كان يجدها لسهولتها كالألهية ، إنه الجواد يبتغى علوفة مضاعفة) . حتى إذا بلغ السابعة عشرة من عمره انـكبَّ على علم اللاهوت ، ثم تتلمذ للحياة بعـد أن أنجز تتلمذه للـكتب ، تلك الـكتب التى قال عنها فى إحدى رسالاته « إنها صنعت منى عالماً عارفاً ولم تصنع منى إنساناً ، سأبدأ عاجلاً بدرس أطوارى » فترك علم اللاهوت وعمل على جمع رواياته التمثيلية ، وقد حثه قريب له أديب على الاختصاص بهذا الفن ، فمثلتها غادة لامعة نجحت فى أداء تمثيلها ، فزاده ذلك انصرافاً إلى هذه الحلبة ، حتى ظُن أن هذا الفتى لن ينصرف بعد اليوم عن الفن الروائى .

على أن الضعف ليبرز فى هذه القطع التى عرضها ، ويغلب على أسلوبها اللون الفرنسى الذى كان يصبغ جميع الآثار الألمانية ، وكان مذهبه فيها نفس المذهب المدرسى الذى كان (راسين وكورنى وموليير) يبتدعونه ويتبعونه . كأنه كان يؤمن بجمال هذا المذهب ويحمل نفسه على الأخذ به . ولـكنه فى بعض نظراته يشن الغارة على هذا المذهب ، ويطلب إلى معاصريه ألاّ يكونوا مقلدين لأذواق غيرهم . وإنما الأجدر بهم أن يتفهموا مذاهب غيرهم وألا يكونوا مقلدين لها . ونهاهم عن التهافت على أدب أمة واحدة كالأمة الفرنسية ، وهنالك آداب مهملة كأدبها جديرة بالدرس والتمحيص ، وفى هذا الصدد قال كلمته المأثورة « إذا أراد الألمان أن يتبعوا مذهباً يلائم طبيعتهم وجبلتهم فليتبعوا الأدب الانجليزى الذى هو أدنى لهم من الأدب الفرنسى »

وقد أشار فى أكثر من موضع الى هذه الروح التى شاء أن يغرسها فى أدباء عصره . وهو الذى كتب فى احـدى رسالاته ينتقد المؤلف المسرحى (جوتشيد) ويؤاخذه لاسترساله الى الروح الفرنسية : « يطمع هذا الـكاتب فى أن يمثل دور المبـدع فى مسرحنا الجديد ، ولـكن ماهو هذا المسرح الجديد ؟ انه مسرح نصف روحه فرنسية . . . ولعل صاحبنا لا يحفل بهذه الصفات إن لاءمت الروح الألمـانية أو لا ؟ وهو لو أنعم النظر فى آثارنا القديمة لأوحت اليـه أن الأدب الانجليزى هو أكثر ملاءمة لروحنا ، وأننا نتوق الى التأمل والتفـكر أكثر مما يسمح به الأدب الفرنسى لنفسه ، وإن الأدب الذى تتمثل فيـه الروعة والعظمة والظلمة هو أكبر سلطاناً علينا من أدب الرقة واللوعة والحب ، وإن البساطة فى الأدب لتضنينا أكثر من حالاته المركبة

المهوشة . . . يجب عليك أيها المؤلف أن تخط لك طريقاً يحملك الى المسرح الانجليزى . . . »

وقد كان انقلابه فجأة الى هذا المذهب وهذا الأدب موضع دهشة ، إذ تبادر الى أذهان بعض النقاد أن شكسبير وحده هو الذى أثر فى ليسنغ ، على أن الأسباب الحقيقية التى ساقته الى هذا الأدب كانت أعمق من ذلك . فليسنغ بعد أن درس حق الدرس أخلاق الشعب الألمانى وجد أن المأساة الحماسية هى التى تبسط تأثيرها فى النفوس . وأن المأساة المجردة ينبغى لها أن تهبط درجة الىعالم الحقيقة ، وأن الكوميديا قد تكون أدنى الى الحقيقة ، وهى التى تثير ما تثير من ضحك ومن بكاء .

وفى النهاية انغمس ليسنغ فى التأليف المسرحى . فكان فى أول أمره يترسم أقدام من تأثر بهم من الأقدمين ، وهو خلال ذلك لايترك الجهاد إلا استعداداً لجهاد آخر يفتقر الى عنف كثير وصبر كثير ، والغاية التى يتطلبها من وراء ذلك عظيمة ، لا تلين إلا لمثل هذا النوع من الجلاد ، فهو يريد أن يخلق أسلوباً جديداً وتفكيراً جديداً ، ومازال يدأب ويجهد حتى وفق الى سعيه بعض التوفيق ، وضرب لعصره مثلاً عالياً للرواية التى تمثل أحسن تمثيل صفات قومه وأخلاق قومه . وهو — وإن لم يبلغ برواياته القمة التى لا تلين خياشيمها إلا للعباقرة فقد كاد . . .

ثم طفق ليسنغ يكتب فى احدى خلواته مقاطيع من الكتاب الذى خلد اسمه على الدهر فى عالم النقـــد ، كتاب [اللاوكون(١)] الذى حشر فيه خلاصة نظراته فى التأليف المسرحى . وفيه عالج الشعر وُعنى بأسلوبه والوسائل التى ترمى الى إحيائه .

وما هو مذهب ليسنغ فى الشعر ؟

لقد كانت المدرسة الويسرانية تعتقد أن الشعر إن هو إلا تصوير صامت . والشاعر الألمانى (ڤينجيلمن Winckelmann) كان يرد أصول الفن مهما تنوعت فروعها إلى مثل عال واحد تنضوى تحته . وهذا المثل هو العظمة المتجلببة بالسكينة . . . وهذا المثل الأعلى مثله كالبحر العميق يبقى هادئاً مهما تقاذفته قواذف الريح . وحاله حال تصاوير اليونان فهى فى أحدى ثوراتها وأهوائها الجامحة تظل مالكة لعظمتها ولنفسها ، ومثل هذه الروح يمثلها تمثال (اللاوكون) بوجهه وأعضائه المتصلبة فى ساعة الألم العنيف . وقد لام هذا الشاعر الألمانى شاعر إيطاليا الكبير (ڤرجيل) لأنه وصف (اللاوكون) بصورة شعرية خالف فيها الصورة التى نحتها الحفار . إذ تركه فى مقطوعته الشعرية يصيح من الألم صيحات منكرة ، ولكن ليسنغ يجابه فى كتابه نقد الشاعر الألمانى ، ويعتقد أن للشعر قواعده الخاصة ، وللنحت قواعده الخاصة ، ويرى أن فى استطاعة الفن الشعرى أن يمثل لنا الشيء حتى يحدق به من جوانبه . بينا أن الفن الثانى لايمثل لنا من هذا الشيء إلا لحظة موقوتة هى كل شيء فى هذا الشيء . وبينما نرى الرسم يخضع للهيئة الجامدة التى يتلبس بها نرى الشعر حرا طليقا يحيا بحركته واضطرابه واختلافه . وهكذا لبث هذا الكتاب أثراً ناطقاً للرجل ، وقد ترك وراءه صدى بعيداً وتأثيرا ترامى فى الأقطار . وهو كما قال فيه (جوته) شاعر الألمان « يجب أن تكون فتى أيها الرجل حتى تستطيع أن تتمثل ذلك التأثير الذى أدخله هذا الكتاب فى أرواحنا » وكفى بهذه الكلمات التى يرددها جوته شهادة .

وهكذا أراد ليسنغ أن يبنى نقده على نظريات ثابتة لا يذهب بها الوهم . فاستمد قانون (أرسطو) يعمل به لتنظيف الأهواء . ومن هذا القانون قد استمد ليسنغ أكثر نظراته النقدية كأنما كان يحاول أن يقتل الحدة والجموح والطيش فى الأدب ويترك إلى العقل سبيلاً ينفذ منه ليبقى مالكا على الأهواء فى أعنف ثوراتها . وقد شاء ليسنغ أن يغزو حقل الأخلاق دأبه فى كل حقل يغزوه ، فكتب مقطوعات فى الحكمة دلت على سمو نفسه . فهو يعتقد أن قيمة الرجل ليست بالفضيلة التى يحرزها ، أو بالفضيلة التى ظن أنه يحوزها ، ولكن قيمته تنحصر فى الجهود التى يقوم بها فى سبيل إحرازها ، لأن المجد لا يتوقف على صفة الاحراز ، ولكن على العمل للفضيلة التى يكثر به جنودها . ويعتز هو بانتصارها . ويقول أيضاً « إذا الله قبض على الفضيلة الكاملة بيده اليمنى ووضع فى يده اليسرى التوق الخالد — توق القلب — الى الفضيلة . مازجا معه انخداع الانسان ، وقال لى : انتخب ، فاننى إذ ذاك آخذ بيده اليسرى بكل تواضع وأقول . أعطنى يا إلهى .

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

(١) Le laocoon هو كاهن عظيم خنقه وأبناءه صلان خرجا من الأمواج [أساطير اليونان]

... لأن الفضيلة الكاملة التى وضعتها فى عينك لم تصنع إلا من أجلك»

وقد ولّدت عنده هذه الحكمة حكمة دينية أبداها فى بعض مقاطيع صغيرة . حيث أبدى أن الوحى الألهى ليس بواحد ولا بثابت ممتنع عن التغير . ولكنه يتنوع ويتقلب ويتقدم كالأنسانية نفسها . وقد أدرك ليسنغ الذروة العالية فى روايته (الحكيم ناثان) اذ أعلن أن الحكيم الحقيق هو الذى يتروض على الفضيلة ويخضع لأحكام العناية الالهية الخالدة .

لقد فهم رجال الأدب بعض جوانب هذا الرجل العظيم ، ولن تظهر عظمته واضحة إلا بعد أن يرجعوا الى البذور الفنية التى نثرها فى طريقه ، وهل كان (جوته) و (هير دار) إلا أول فنن من هذه الشجرة ، أورق وأزهر وأثمر ، ثم أتى أكله فكان نعم الأكل[1] . ؟

بيروت خليل هنداوى

(١) آثرنا أن ننقل صفحة معربة من كتاب (اللاوكون) وفيها تحليل دقيق لبعض الصور الفنية التى كان لها تأثيرها البليغ فى تحوير الفن وإبداع صوره الجديدة فى العهد القديم ، وفيها يطلع القارىء على سمو نظر هذا الناقد .

العُلوم

بحث فى تاريخ الإنسان

بقلم نعيم على راغب

دبلوم عال فى الجغرافيا

إذا أردنا الكتابة أو البحث فى تطور الانسان على ممر الدهور والأيام ، فانما نعني فى الحقيقة تاريخ الانسان ، تاريخ حياته وجهاده وكيف . . ومتى . . ومن أين أتى بشكله الطبيعى المألوف الذى نراه به اليوم . وكيف تكونت عنده القوى العقلية والقدرة على التكلم والتفاهم .

من الواضح الجلى أننا إذا حاولنا الكتابة فى هذه الحادثات التاريخية القديمة ، يجب علينا أن نوجه أبحاثنا وننظر بعيداً الى عصر قديم جداً من العصور ، يقع قبل التواريخ المدونة فى الكتب بمراحل كبيرة جداً . ونجد لزاماً علينا فى هذه الحالة أن نقص عليك أطيب القصص عن عصر لم يوجد به رأى يفكر أو يد تسطر لنا ثمرات هذا التفكير .

ولقد خيل للعلماء أجمع استحالة تتبعهم وتفهمهم لما حدث فى تلك الأحقاب السحيقة ، ثم تسطير تلك الحوادث التى حدثت منذ آلاف السنين ، لو لم تأت المصادفات ويساعد الحظ الحسن على كشف أستار الماضى الكثيفة . فانه فى حوالى سنة ١٨٢٥ قامت بعثة أثرية دنمركية بالبحث عما قد يكون مندثراً فى أراضى بلادها من أسلحة أو حلى أو آنية قديمة ، ثم وضعت كل ماوجد فى متحف كوبنهاجن .

وفى سنة ١٨٣٠ حينما ازدادت كمية المحفوظ به فكر مدير قسم الآثار س . ج . تومسون C. J. Thomsen فى تقسيم المحفوظات الى أقسام ترتب حسب نوع المعدن المصنوعة منه . إلا أنه فى ذلك الوقت أتته فكرة طارئة ، كانت ذات أثر بين فى سير التاريخ الانسانى ، وذلك أنه سائل نفسه عما إذا كان من المحتمل أن تكون تلك المحفوظات عنده فى المتحف كل منها يمثل عصراً خاصاً من عصور الانسانية ، وجاءت الحوادث بعد ذلك لتحقق صدق حدسه الذى خمّنه ، فقد وجدت أشياء أخرى بطريق المصادفة لفريق من عمال البناء عند حفرهم آبار منازل كلها من مرافق الانسان الذى عاش فى العصور السالفة ، وكان أقربها لسطح الأرض الحديدية والبرونزية فالحجرية .

فأخذ علماء الدنمرك حينذاك يعرفون أن الأرض نفسها سجل صامت ثابت يحفظ تاريخاً صحيحاً لأعمال وحياة الانسان فى العصور السالفة ، ووجدوا ذلك صحيحاً فى كل جهة من جهات بلادهم : فى المقابر القديمة ، فى الآبار وفى شواطىء الأنهار مما يملى عليهم التاريخ الصحيح للانسان القديم .

من كل تلك الأشياء وصل تومسن Thomseu الى نتيجة نهائية ، هى أن تاريخ الانسان القديم مقسم الى ثلاثة عصور : الحجرى والبرنزى فالحديدى ، وبذا كانت الدنمرك أحدث الجهات فى التكوين جيولوجيا ، هى أول مكان بحث التاريخ السحيق للانسان على هذا النمط العلمى الجديد .

حول العلماء الفرنسيون بعد ذلك طريق كتابتهم لتاريخ الانسان وجاروا الدنمركيين فى طريقتهم ، ووجدوا مادة بحثهم الجديد فى كهوف مقاطعة Dordogne وبدأ ادوارد لاريت F. Larett ومعاونوه البحث فيها حوالى عام ١٨٦٠ فوجد أن معظمها كان مستعملاً قبل ذلك كمساكن أو مقابر فى كل عصور التاريخ القديم ، وكان من عدم اعتناء السكان الأقدمين بالنظافة وترك كهوفهم مملوءة بالبقايا والأدوات حظ حسن للتاريخ ، وكان من تساقط المياه الملحية من سقوف الكهوف خير معوان وخير عامل على حفظ تلك البقايا الانسانية بعيدة عن الضياع أو التلف ، وارتفع قاع الكهوف بالعوامل الطبيعية والجيولوجية ، فحفظت الأرض بين ثناياها على ارتفاع ينيف على الثلاثين قدماً آثاراً عظيمة الشأن للحياة الانسانية من مدة طويلة من الزمن .

ولم يطل الزمن بعد ذلك حتى عرف الفرنسيون أن كهوف بلادهم تحفظ تاريخ الانسان لمدة أقدم بكثير مما تحفظه مقابر اسكنديناوه أو قدماء المصريين . ولم تكن العصور الانسانية الثلاثة المعروفة لهم سوى عصور حديثة جداً إذا ما قيست بما تنم عليه آثار كهوف فرنسا ، ومن بينها الهياكل العظيمة المتحجرة للحيوانات التى كانت تعيش فى تلك العصور ، كغزال الرنة ، والضبع ودب الكهوف . ولقد قسم اللورد ايفبرى Lord Avebury العصر الحجرى إلى قسمين : أسمى أحدهما العصر الحجرى الحديث Neoliths القريب من العصر البرنزى وهو ما وجدت آثاره فى الدنمرك ، وأسمى الآخر العصر الحجرى القديم Palaeoliths .

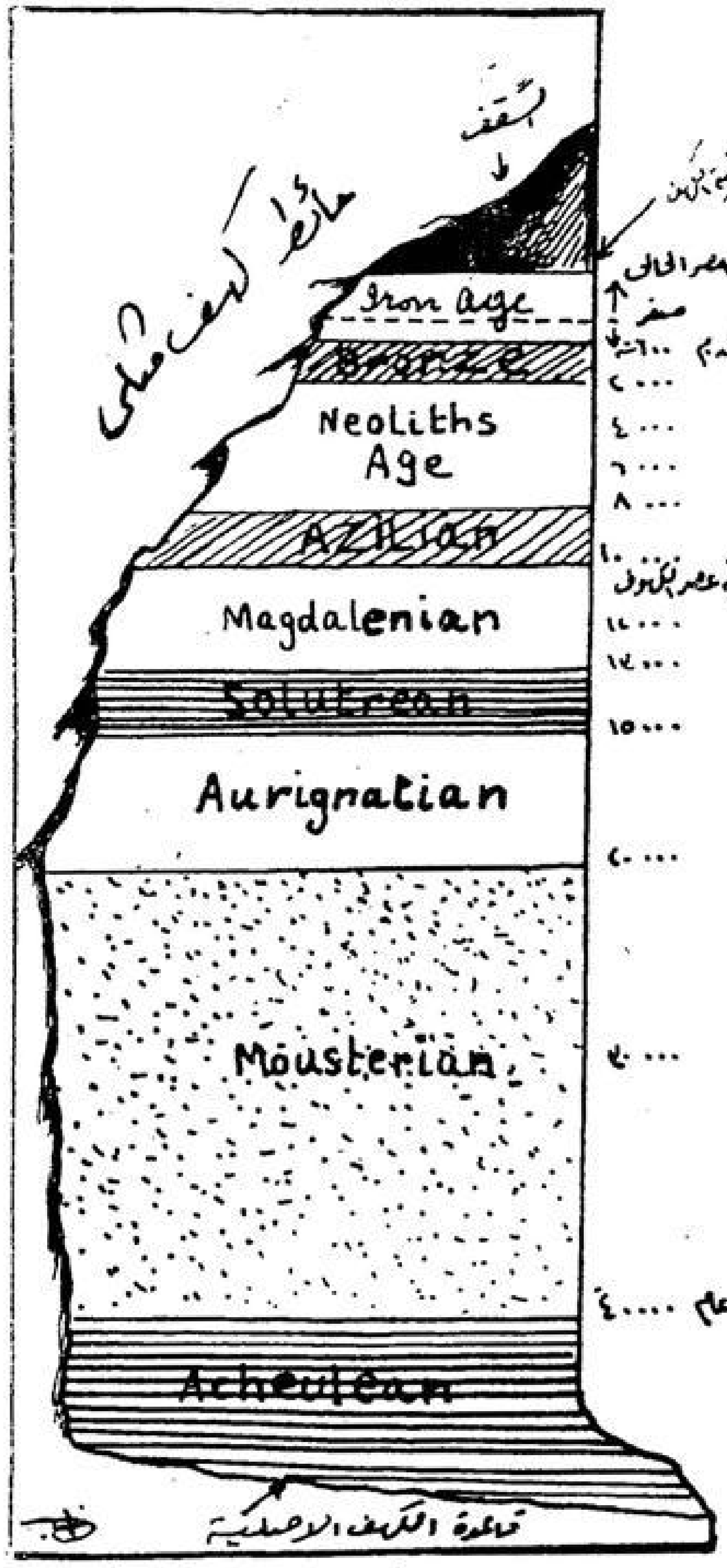
وكلما ازداد الفرنسيون تعمقاً فى حفرياتهم ازدادوا يقيناً بصحة ترتيب تلك العصور المختلفة وبتغيرات عديدة قد حدثت للمناخ وقتذاك ، وعرفوا أنه لم يكن هناك عصر حجرى قديم واحد كما ظن السير ايفبرى بل جملة عصور متتابعة متناهية فى القدم يمتاز كل عصر منها بميزات مختلفة ، أمكن انتزاعها من الآثار التى وجدوها . وزاد يقينهم فى هذه النظرية تكرار وتماثل ترتيب الطبقات فى كل الكهوف التى بحثوها . وقد وجد علماء الانجليز والألمان والطليان والاسبان بدورهم نفس الظواهر والترتيب الذى وجد فى كهوف فرنسا

وهكذا نرى أن الكهوف قد أمدتنا بالمعلومات والحقائق الخاصة بتاريخ الانسان القديم ، وأمكننا تسطير تاريخ دقيق لا عن المدة التى كشفت عنها حفائر الدنمرك فقط ، بل عن مدة تتناهى فى القدم عن تاريخ قدماء المصريين أو تاريخ بابل القديم . وإنك لتدهش حقاً إذ تعرف أن تلك الحفريات قد كشفت لنا عن ظاهرة ليست غريبة عن عصرنا ، وهى مسألة الزى ، أو « المودة » fashion فقد ثبت منها أن مجرد وضع زى خاص للبس أو زينة فى بلد فى تلك العصور كان كافياً لانتشاره فى العالم القديم أجمع ، ولذلك ترى أن أجدادك وأجدادنا الأقدمين كانوا مثلنا عبيداً للزى المتفشى فى العصر . ولو أن زيهم كان أثبت قدماً وأطول بقاء من زينا الذى يتغير سريعاً بتغير الفصول والمناسبات

لنر الآن إلى أى حد تعمق البحث فى تاريخ الكهوف القديم .

من الشكل رقم «١» يرى القارئ قطاعاً رأسياً فى كهف مثلى كملت فيه الطبقات والعصور التى وصل العلماء إلى الكشف عنها . ومنه يمكنه أن يلاحظ أن العصور الثلاثة المعروفة (الحديدى والبرونزى والحجرى) تقع فى أحدث جهات الكهف كشفاً ، ومن بعدها عصر سماه العلماء Azilian (لأن الحفريات التى دلت على وجوده عملت بالقرب من قرية Mas d, Azile فى فرنسا) يجيء بعده عصر سموه Magdalenian (نسبة إلى كهف La Madeleine فى مقاطعة الدردون) يتبعه عصر سمى Solturean (نسبة إلى جهة Solutré بالقرب من ماسون بفرنسا) فعصر أطلق عليه إسم Aurignacian (نسبة إلى قرية Aurignac فى أعلى الجارون) وآخر هذه العصور عصر أطلق عليه إسم Mousterian نسبة إلى الكهف Le Maustier فى مقاطعة داردونى Dardogne

وليس هناك أدنى شك فى صحة ترتيب العصور السالفة الذكر ، لأن الابحاث التى قام بها العلماء بعد ذلك لم تكشف لنا إلا عن تتابع صورة طبق الأصل لما قد بيناه فى هذا المقال . إلا أننا نقف لحظة



شكل (١) رسم تخطيطى لكهف مثلى يظهر عليه تركيب وتتابع الطبقات الجيولوجية

ونسائل أنفسنا ما هى فترة كل عصر من تلك العصور ؟ ومتى بدأ كل عصر منها ؟ . . ومتى انتهى كل منها ؟ .

إن السنين المذكورة فى شكلنا رقم « ١ » ما هى إلا عدد تقديرى تقريبى غير ثابت عام الثبوت ، وربما كشف لنا العلماء حديثا ما يدفعنا إلى تغيير فى هاته الأرقام . لكننا مع ذلك نعلم أن فترة الكهوف قد انتهت بانتهاء عصر الجليد . ولقد استطاع علماء السويد وعلى الأخص البارون دى جير Baron de Geer أن يضعوا لنا تقديرا معقولا انتزعوه من آثار عصر الجليد وعرفنا منهم أن عصر الجليد قد بدأ فى السويد من مدة ١٢٠٠٠ سنة مضت تقريبا . ونحن إذا قدرنا أن حياة الانسان فى الكهوف قد انتهت من مدة ١٠٠٠٠ سنة أو ٨٠٠٠ قبل الميلاد لأ مكننا أن نقرر لأقدم عصر من عصور الكهوف تقديرا غير مبالغ فيه وهو ٤٢٠٠٠ سنة

ولكى تعلم أيها القارىء أن أقدم عصر من عصور الكهوف هو أهم عصر فى هذه العصور جميعا ، يكفى أن نخبرك أنه بين طبقات الأرض فى هذا العصر قد وجدت بقايا عظام متحجرة لعنصر من عناصر المخلوقات يختلف اختلافا عظيما جدا يبعده عن الصورة التى كان عليها أقدم الأجناس البشرية المعروفة . هذا النوع أو الجنس يعرف باسم انسان النيادرانتال Neanderthal Man ويمتاز هذا النوع بفرطحة الجمجمة وبروز عظام محاجر العين . كان رجاله ونساؤه ذوى قامات محدودبة يعتمدون كما تعتمد القردة على أيديهم فى المشى .

وقد بدأ هذا النوع من أنواع الانسان القديم يظهر واضحا جليا بآثاره ومخلفاته فى أواخر أقدم عصر من العصور التى ذكرناها مستريان Mousterian

ومن الآثار والمخلفات التى وجدت فى الكهوف القديمة فى جميع أنحاء العالم أمكن تتبع حياة الانسان لمدة تنيف عن ٤٠٠٠٠ سنة فى وقت كانت فيه أوروبا مسكونة بعنصر من العناصر الانسانية يختلف اختلافا بينا عن العنصر الذى نحن منه . عنصر أطلقنا عليه كما سلف Homo Neanderthalensis . وثبت أن أوربا كان يسكنها فى العصر القديم الذى أطلقنا عليه اسم Mousterian عنصر من الانسان النياندرتال .

وبرغم أن الانسان الذى وجدت آثاره كان فطريا أقرب فى حياته الى الحيوانية فانه كان رجلا أو إنسانا بكل ما فى جسمه من صفات وما فى عقله من خواص وتفكير . وما دمنا نرمى الى الوصول لفجر الانسانية ومعرفة تاريخ النشأة البشرية فانه يجب علينا أن نتخذ لنا طريقا آخر يساعدنا على تفهم ما نريد ومعرفة ما نرمى اليه . هذا الطريق هو البحث فى الأنهار والمجارى المائية . وإن البحث والتنقيب اللذين قام الناس بهما فيها ، دلا على أن هناك آثارا ومخلفات قديمة تحفظها الأنهار والمجارى فى قاعها وشواطئها ومدرجاتها ، وكأنها تقدر مجهود الانسان لحفظ كيانه ، فعملت على حفظ آثاره وتخليد ذكره تنويها منها بعظمته وقوته .. ولنا فى مدرجات نهر التيمس أكبر دليل على

القصص

من الأدب التركى

المعلمة الصغيرة ..

ترجمة الآنسة الفاضلة (فتاة الفرات)

ركبت عربة الترام ولم يكن فيها غير السائق الذى كان مغمضاً عينيه يستريح قليلاً من عناء أربع عشرة ساعة ، أما بائع التذاكر فكان جالساً فى المكان المعد للسيدات يقرأ جريدته على ذلك الضوء الشاحب الهزيل الذى كان ينفذ من زجاج ذلك المصباح الأغبر ، وليس يعلم إلا الله كم مرة أخرجها من جيبه وأعادها اليه . وكأن دخولى الى تلك العربة وهى آخر العربات فى ذلك الوقت من تلك الليلة الشاتية نفخ فيها حياة بعد أن كاد يقتلها الأعياء ، فقد أفاق السائق من نومه وفتح عينيه المغمضتين ، وأبعد بائع التذاكر الصحيفة عن وجهه وصعد بصره فىَّ كأنه يقول : وهل بقى من راكب بعد أن مضى الهزيع الأول من هذا الليل المطر ؟ . ثم قام الأثنان ونظرا الى الخارج كأنهما يريدان أن يريا المطر الذى كان يسفع زجاج العربة بشدة ، وعادا فى الحال كل الى مكانه لأن وقت الحركة لم يحن بعد ، فأغمض السائق عينيه ، ورفع بائع التذاكر جريدته الى وجهه وأخذ يقرأ .

جلست وفى نفسى أن انتظارى سيطول ، لقد كان منظر العربة مؤلماً جداً ، كانت أطرافها ملوثة بالطين ، وكان زجاجها مستوراً بطبقة من مياه الأمطار التى كانت تسيل عليها ، وكان نورها ضئيلاً ، وهى واقفة تحت سيل الأمطار الذى لم ينقطع منذ ساعات وقفة حزن وملل تنتظر الوقت لتسير . كم كان مؤلماً منظر الخيل[1] وهى تنتظر بفارغ الصبر العودة فى تلك الساعة الى اصطبلها الدافئ ، ومنظر السائق الذى هدّ التعب جسمه وغلبه النعاس فلا يكاد يرفع رأسه ، ومنظر بائع التذاكر الذى كان يود النزوح ولو بخياله عن خط الترام الذى هو كل ماتراه عينه فى كل يوم منذ الصباح حتى المساء ، فهو يتلهى بالنظر الى جريدته كلما سنحت له الفرصة . .

كنت وأنا أنظر الى المياه التى كانت تسح من مظلتى التى ابتلت من المطر الغزير فتؤلف دوائر ، أقول فى نفسى : « إن هذه العربة التى كادت قطعها تنفصل عن بعضها لكثرة ما حملت من الناس لأراحتهم ، وهذين الحيوانين اللذين أكل عليهما الدهر وشرب ، وهذين الرجلين البائسين ، وهذا الخط الحديدى الذى يفسح لنفسه الطريق بين الأوحال من « الجسر » حتى « جنبرلى طاشى » . كل هؤلاء مكلفون فى هذا الليل المدلهم بحملى وحدى بأجرة لا تزيد على قرش واحد » .

دق الجرس فجأة ففتح السائق عينيه ونهض يتمطى ، ونظر

(١) كانت عربات الترام فى الزمن القديم تسير بالخيل لا بقوة الكهرباء كما هى الآن

ذلك . ولقد ساعدت عملية الردم والتكوين التى تقوم بها الأنهار بما تحمله من غرين وغيره أثناء طريقها على حفظ آثار الانسانية ، حتى جاء بورشيه دى بيرث B. De Perthes فوجد فى بلدة آبفيل Abebville صخورا نارية (كان الناس وقتذاك يعتقدون أنها من مخلفات الصواعق) اعتقد أنها من عمل الانسان ووجد بها أثرا من فن الانسان ، واعتقد أن الانسان قد استعملها قديما ك(بلطات) يقطع بها الاشجار وغيرها ، أو يدافع بها عن نفسه وقت الخطر . كذلك وجد فى نفس الجهة عظاما متحجرة لحيوانات قديمة منقرضة ، وهنا نظر اليه الناس كنظرتهم الى من بعقله مس من الشيطان ، لأن العظام التى كشف عنها ترجع الى عصر Pre Deluvian وهو عصر اعتقدوا أن الانسان لم يوجد فيه . فكيف بهذا الرجل يقول إن الصخور التى وجدها من قطع وتشكيل من لم يكن قد وُجد بعد ؟ . .

يتبع

نعيم على راغب

الى ما حوله حيران كأنه يعجب من وجود عمل يجب القيام به فى ذلك الوقت من الليل لأتمام عمل النهار ، ففرك يديه وسار . فتح الباب فهجمت منه موجة هوائية باردة ، ثم خرج وأغلقه خلفه وبقى وحده معرضاً لموجات الهواء التى كانت تلطم عربة الترام .

انتفضت تلك العربة الكبيرة الثقيلة وتمطت واهتزت كأنها هى أيضاً كانت نائمة ، وتحركت بحركة مزعجة ، وأرسلت أصواتاً كأنها شكوى عميقة يثيرها اضطراب دائم ، ثم سارت وهى تحمل مع اضطراب ألواحها الزجاجيـة جسمين مضطربين وهما بائع التذاكر وزبونها الوحيد .

تقدم بائع التذاكر من الراكب الوحيـد وسلمه تذكرته واستلم نقوده من غير أن ينبسا ببنت شفة ، ثم عاد بائع التذاكر الى جريدته يقرؤها ، وعاد الراكب الى ما اجتمع تحت مظلته من المياه ينظر اليها .

فى تلك الأثناء كثر اهتزاز العربة ، وأخرجت أصواتاً مزعجة كأن أسنان تلك العربة ، ذلك المخلوق البطىء ، تعض الخط الحديدى بشدة ، مظهرة ألمها واستياءها ، وصلنا الى « سركه جى » فلم ير بائع التذاكر حاجة إلى وقوف العربة ، وهى آخر العربات حركة ، لوثوقه أنه لا يوجد راكب فى مثل هذا الظلام البهيم ، فصفر معلناً الحركة ، ولـكن السائق صاح قائلاً :

— راكب !

وقفت العربة فقلت فى نفسى « شىء مؤلم ! كم كنت مستريحاً وحدى ! » ثم فتح الباب فما كدت أبصر الداخل حتى تغير رأيى ، فقـد كان الراكب الجديد فتاة شابة قد ابتلت ثيابها من المطر لأنه كان ينزل عليها فلا ترده عنها مظلتها الصغيرة ، كانت صفراء الوجه من البرد ، وكانت شفتاها متقلصتين وأسنانها مصطكة ، وعليها ثوب أبيض فوقه معطف بنى اللون لا يشك الناظر اليه فى أن ذلك الشتاء لم يكن أول شتاء مر عليه . فجلست بهذه الهيئة الفقيرة المؤلمة فى الجهة المقابلة لى . وفى الحال مدت يدها الجامدة من البرد فى قفازها الذى امتدت منـه أطراف أصابعها والمخيط بأسلاك بيضاء ، الى جيب معطفها لتخرج منـه حقيبة النقود ، فأخرجت منديلا أبيض ثم حقيبة تقادم عهدها وحال لونها لـكثرة الاستعمال وتمزقت جوانبها ، فأخذت تعالجها لتفتحها فلم تقـدر كأن قفلها قد تعطل ، فعالجتها المسكينة كثيرا ، والحقيبة مصرة على ألا تنفتح ، وبائع التذاكر واقف أمامها يهتز ذات اليمين وذات الشمال من حركة الترام وجريدته تحت إبطه ، ينتظر النقود منها ، لقـد مللت النظر إلى الماء المتجمع أمامى من المظلة فرفعت رأسى وأخذت أنظر اليها نظرى إلى شىء جديد ، كانت هى على ما يظهر من حالها متألمة من عدم تمكنها من فتح الحقيبة بسرعة لأنها كانت تعالجها كمن يود كسرها ، وأخيراً فتحت الحقيبة فأدخلت أصبعها فيها وأخذت تطوف بهما فى جوانبها على ضوء العربة الضئيل .

لقد شعرت وأنا فى مكانى أن الحقيبة لا تحوى أشياء كثيرة يحتاج المرء معها إلى كثرة البحث والتنقيب ، أدخلت يدها وهى

فى القفاز الممزق حتى غابت فى الحقيبة وأخذت تبحث عن شىء صغير مختبىء هناك .

بعد بحث طويل لمع بين أصبعيها شىء صغير وهى تخرجه من الحقيبة فناولته الى بائع التذاكر الذى لم يشأ أن يقطع لها التذكرة قبل أن يستلم النقود . . . . فتنفست الصعداء كأنها خرجت من مهمة صعبة وتمكنت من مقعدها كل التمكن . ثم رفعت عينيها اللتين لم أستطع أن أعرف لونهما تماماً .

لقد كانت تارة تنظر والعربة سائرة إلى قطع الجلود المتدلية من السامير التى فى سقف العربة ، وآونة الى المطر الذى يسح من زاوية العربة ، ثم الى مافوق رأسها لتعلم أين مكانها منه ، وطوراً تقارب بين جفنيها وتتأمل فى ضوء المصباح الضئيل ، إلا أنها ضجرت من كل هذه الاشياء وسئمتها ، فمسحت بظهر يدها زجاج العربة المبتل ونظرت الى الشارع ، لترى أقربَ مكان نزولها أم لا يزال بعيداً ؟ إلا أنها لم تر غير أشعة المصابيح الضئيلة التى تشع من الحوانيت القليلة فى هذه الليلة الباردة فترقص أشعتها فوق الطين المتراكم فى الشوارع .

وأخيراً نظرت الىّ نظرة عجلى كأنني آخر ما يمكن أن يعرض على نظرها من الأشياء التى حولها ، ولكنها وجدتني كبقية الاشياء التى استعرضتها أمام ناظريها ولم تجد فيها مايوجب العناية ، فأعرضت عنى واستندت على مسند المقعد ، ومدت رجليها وفيهما حذاءان عتيقان قد قطع زر أحدهما وتمزقت عروة الثانى ولكنهما كانا جميلين ، ووضعت إحدى رجليها على الأخرى ، ثم أصلحت قبعتها وأسندت رأسها إلى ما خلفها وأخذت تنتظر .

هل كانت جميلة ؟ لا أدرى ! ولكنها مع ذلك كانت مركبة من أعضاء صغيرة ، حتى ليخيل للناظر إليها أن رجلاً من المولعين بالأشياء الدقيقة قد صاغها هذه الصياغة وركبها هذا التركيب ، فهى مليحة بعينيها الصغيرتين ، وفمها الرقيق ، وأنفها الدقيق ، ووجهها المخروط ، ولم يكن فى ذلك الجسم المركب من تلك الأعضاء الصغيرة طويل غير قامتها ، فقد كان طولها لا يتفق وصغر أعضائها ، ولكنها مع ذلك لم تكن خالية من الملاحة .

لقد كنت أشعر بشىء غريب لوجودى فى تلك الليلة الشاتية فى تلك العربة بجانب تلك الفتاة منفردين ، كنت أشعر بلذة غامضة كالتى يتوهمها الانسان عند قراءة شعر لايفهم معناه .

وفى تلك الأثناء رفعت رأسها بسرعة ومسحت زجاج النافذة ونظرت طويلاً نظرة تدل على ضجرها من التأخر . وكنا فى ذلك الوقت نسير فى محلة (چيفته حاووضلر) وكنت أقول فى نفسى « أين تذهب هذه الفتاة فى مثل هذا الوقت فى مثل هذه الحالة الجوية ؟ » ثم ارتدت مسرعة عن النافذة ، وانحنت قليلاً كأنها تريد أن تكلم بائع التذاكر الذى كان مغطياً وجهه بجريدته يغالب النوم ويغالبه ، ولكنها لم تجرؤ أن تكلمه فنظرت إلىّ نظرة تدل دلالة واضحة على أنها تريد أن تسألنى عن شىء ، فنظرت إليها نظرة أسألها فيها عما تريد ، إلا أنها بصورة من الصور لم تجد قدرة على الكلام فسكتت ، ونهضت على رجليها ونظرت ثانية من النافذة ، وفى هذه المرة ارتدت مصفرة فقلت لها :

— كأنك تريدين أن تسألى عن شىء أيتها الآنسة ؟

فقالت بصوت رقيق يشبه جسمها الصغير بلهجة تدل على الحشمة والوقار :

— عفواً ياسيدى ، فهل « الجسر » بعيد عنا ؟

فقلت :

الجسر ؟ أنت مخطئة أيتها الآنسة ، إن هذه العربة تسير بنا إلى « آق سراى »

فنظرت إلى وجهى نظرة جامدة كأنها لم تفهم شيئاً ، وبعد أن وقفت مدة على هذه الصورة لا تجد فى نفسها قوة على الاستيضاح قالت :

— إذن نحن الآن لا نسير نحو « الجسر » ؟

لفظت جملتها هذه بصورة تدل على فزع شديد علمت منه أنها ارتكبت خطأ ، فداخلتنى عليها شفقة وقلت :

— أنا آسف جداً يا آنسة ، أنت تريدين الذهاب إلى « الجسر » إلا أنك ركبت عربة تسير عنه لا إليه ، وقد أوقعك فى هذا الخطأ ظلام الليل ودهشة المطر .

كانت تسمع كلامى والبكاء يكاد يغلبها على عينيها وتقول بصوت مسموع : لقد تأخرت كثيراً . ثم قالت بصوت يخالطه شىء من الأمل :

— إذن سأعود أدراجى من أول موقف .

لقد وصلنا إلى موقف « صالقم سكود » فقلت لها :

— إنك مضطرة إلى الرجوع راجلة ، فهذه آخر عربة ولا أظن أنك تجدين عربة فى هذا المطر .

فلما سمعت ذلك اضطربت اضطراباً عظيماً ، وفى ذلك الوقت استيقظ بائع التذاكر واقترب منا يشاركنا فى الحديث ، ثم قال مبرئاً نفسه من التبعة :

— لماذا لم تذكرى لنا المحل الذى تريدين أن تذهبى اليه ؟ .

فلم تجد تلك المسكينة حاجة الى الجواب ، فنظرت الىّ نظرة حائرة تطلب بها المدد والمعونة ، وقالت :

— لطفاً يا إلـهى ، فى مثل هذه الساعة ، فى هذا المطر ، وفى مثل هذه الأزقة المظلمة الخالية كيف أستطيع السير وحدى ؟ .

لم أجد حاجة لاتخاذ قرار بعد ذلك فى هذا الشأن ، فقلت لها :

— أيتها الآنسة ، هل لك أن تقبلى مرافقتى حتى الجسر ؟.

فنظرت الى دهشة وصاحت :

كيف ذلك ياسيدى ؟ كيف تعود لأجلى فى هذا الهواء ؟ وكيف أستطيع أن أقبل هذه التضحية ؟ . .

على أنه لم يكن أحسن من هذا الحل ، لأن السائق كان بفارغ الصبر ينتظر الحركة ، وبائع التذاكر ينتظر أن نعطى نتيجة حاسمة فقلت لها مصراً :

— أنت لا تقدرين على العودة منفردة فى مثل هذا الوقت ، ومن مثل هذا المكان ، مع أنى أتمكن من أن أركب عربة وأعود من الجسر ، وذلك يسير علىّ .

فنظرت الى عند ذلك نظرة فاحصة ، وبتلك النظرة علمت صفاء نيتى وصدق عزمى فأظهرت الأطمئنان وقبلت مرافقتى قائلة :

— سمعاً وطاعة يا سيدى ، لقد أظهرت إنسانية نبيلة وعطفاً كريماً ، وأنا أقبلها مع الشكر .

فتح بائع التذاكر الباب ليشرح للسائق القصة ، فنزلنا نحن من الباب الثانى ، وتحركت العربة فى الظلام كأنها خيال ذو عينين صفراوين ؛ كان المطر إذ ذاك رذاذاً إلا أنه كان متوالياً ، ففتحت الفتاة مظلتها ، فلما تأملتها وجدتها ممزقة الأطراف ، وفتحت أنا أيضاً مظلتى وأخذنا نمشى متكاتفين بقدر ما تسمح لنا المظلتان . كانت فى ذلك الظلام الدامس فى تلك الشوارع الخالية تشعر أنها محتاجة الى الاقتراب منى بدافع غريب مجهول المصدر يدفعها الى ذلك ، وكنت أنا أشعر بلذة منشؤها حمايتى لفتاة فى مثل هذا الوقت . على تلك الحال كنا نمشى صامتين لا نتكلم ، وكانت توسع خطاها لئلا تضطرنى الى المشى البطىء .

كنت وأنا فى الترام فى شك من جمال هذه الفتاة ذات القامة الهيفاء ، ولكنها الآن فى الظلام كانت تتراءى لى جميلة .

إن هذه المصادفة غريبة جداً ، وأظن أن تلك الفتاة التى رأيتها لأول مرة فى حياتى وبسطت عليها ظل حمايتى لو كانت غير جميلة لكانت اللذة التى أشعر بها الآن ناقصة ، كنت أقول وأنا سائر بجانبها : يا لجمال عينيها الصغيرتين .

(البقية فى العدد القادم) نزيلة بعلبك (فتاة الفرات)

الكتب

تاريخ العالم القديم

تأليف الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى

للأستاذ المؤلف شغف عظيم بالتاريخ القديم ، فهو ما ينفك يقلب صفحاته ، ويطيل النظر فى أدق موضوعاته ، حتى صار لهذا العلم المحل الأول من اهتمامه فى درسه وفى أوقات فراغه ، ولقد قام بتدريسه سنين متتالية فى المعاهد الدينية ، وعرف ما يوافق طباع الطلاب منه ، ووقف على الأسباب التى تحبب إليهم موضوعاته ، أو التى تنفرهم منها . وكانت ثمرة هذه الخبرة هذا الكتاب الذى أحدثك عنه ، وهو فى طبعته الرابعة هذه على خير ما تصدر به الكتب دقة طبع وسلامة ذوق .

أما عن موضوعه فهو وفق المنهج الأخير لوزارة المعارف والمعاهد الدينية ، يشمل تاريخ قدماء المصريين والأغريق والرومان

على أن أهم ما فى الكتاب هو تلك الطريقة الفريدة التى اتبعها الأستاذ فى كتابة التاريخ ، فلقد نبذ تلك الطرق التى تقتصر على سرد المعلومات الجافة يقصد بها استيفاء المنهج المقرر ، ونفذ بخبرته إلى صميم الموضوع ، فاهتم بالحياة الاجتماعية ومظاهرها فى تلك العصور القديمة ، إلى جانب اهتمامه بتفاصيل المنهج ، كل ذلك فى عبارة طلية متينة ، مما جعل كتابه جم الفائدة ، خفيف المحمل ، أضف إلى ذلك ما يحتوى عليه ذلك الكتاب الفذ من الصور والخرائط ، وكلها موضوع لغرض إيضاحى فى تدبير حصيف وترتيب محكم مما لا نجد مثيلاً له فى غيره من الكتب ، ولا شك عندى أن هذه خير طريقة تحبب إلى الطلاب دراسة التاريخ والاستزادة منه .

ولئن كان أثر المؤلف مرآة نفسه ، فان كتاب الاستاذ السرنجاوى خير شاهد على ذلك ، فانك تلمس فيه هدوء طبعه ، وقوة منطقه وعذوبة روحه وسلامة ذوقه ، وإنى لأتقدم إلى الأستاذ بالثناء على ما بذل من جهد ، وبصادق التهنئة على ما صادف عمله من نجاح ما .

الخفيف

الرائد

فى تاريخ الأدب العربى ونصوصه ومتن اللغة

هذا كتاب جديد فى تاريخ الأدب العربى أخرجه فى هذه الأيام صديقاي الفاضلان الأستاذ عبده زيادة عبده المدرس بمدرسة الخديو اسماعيل الثانوية الملكية ، والأستاذ محمد السيد عامر المدرس بمدرسة بنبا قادن الثانوية الملكية ، وهو يتألف من جزأين أولهما فى منهاج تاريخ الأدب الأخير للسنة الثالثة بالمدارس الثانوية ومدارس المعلمين والمعلمات ، وثانيهما فى منهاج تاريخ الأدب الأخير للسنة الرابعة بالمدارس الثانوية .

وقد ألف فى منهاج الأدب للسنتين الثانويتين كتب غير كتاب الأستاذين ، ولكنه جاء آخرها فتداركا به مافاتها وامتاز عليها بأمور كثيرة ، وقد قال الأستاذان فى ذلك : « ولسنا ننكر أن للكتاب أنداداً ، غير أن بعضها على قيمته جاوز المنهج الجديد فعاد كتاباً للمتأدبين ، لا لطلاب يتقدمون الى الامتحان فى موضوع بعينه ، وبعضها جاء مقصوراً على فن واحد من فنون كتابنا هذا ، وبعضها علا أسلوبه ودقت اشاراته على الناشئين حتى مايستطيعون فى غير عناء أن يدركوا مايريد .

وقد عنيا فى هذا الكتاب أن يعالجا مسائل الأدب بذكر المقدمات فى شىء من البسط ليخلصا الى مسائله واضحة معقولة ، وأن يحللا نصوصه الأدبية من جميع نواحيها لغة ومعني وإعراباً وبلاغة إلا أن يتركا لقدر التلاميذ بعض الأبيات والجمل ليحاولوا شرحها على مثال ما فعلا ولا يهملوا مداركهم فتنشأ لا تبنى إلا على مثال .

وقد سار الأستاذان على هـــذه الخطة القويمة التى خطاها لأنفسهما فى كتابهما بما نعهده فيهما من علم واسع وإنشاء مهذب وترتيب محكم ، فيسرا لطلاب هاتين السنتين منهاجيهما الأدبى تيسيراً ، وأصبحت طلبتهم منهما فيه سهلة المنال دانية القطوف ، فنحمد للأستاذين مابذلا من جهد نقدره لهما ، ونترك من أجله بعض أمور نخالفهما فيها وقد تابعا فيها غيرنا ، ولكل وجهة هو موليها .

عبد المتعال الصعيدى

رواية ابنة الشمس

تأليف فرنسيس شفتشي

نالت هذه القصة التمثيلية جائزة وزارة المعارف العمومية فى مباراة سنة ١٩٣٢ ، ولقد قرأتها دون أن يكون لهذا الاعتبار تأثير فى نفسى فألفيتها قصة ممتعة طريفة ، جديرة بما نالت من حظوة واستحسان ، فلقد نجح المؤلف نجاحا عظيما فى تصوير المجتمع المصرى فى عهد الملك رعمسيس الثانى ، كهانة وسحرا وطبا وعرافة وسياسة ، كما أنه قد نجح فى تصوير بعض العواطف الانسانية تصويرا بارعا كالشفقة والحب والشك والطمع والحسد والأخلاص والخيانة وغيرها ، كذلك أحسن المؤلف تصوير أشخاصه ، ففنه فى هذه الناحية قوى ، ولقد استمر على فطنته ويقظته فيما يتعلق بصفات أشخاصه حتى آخر القصة .

بيدى أنى أرى فى القصة بعض مآخذ ، لا بد لى إذا توخيت الأنصاف من مصارحة المؤلف الفاضل بها

وأول هذه المآخذ أن عقدة القصة مبهمة ، فقد حاولت أن أنتخب من بين حوادثها حادثة أعتبرها الرئيسية فلم أوفق الى ذلك ، فهنا بنت أنات تحب بنطاؤر ، وهنالك نيفرت تحب مينا ، وهذا رئيس الكهان يشترك مع والى مصر فى إثارة الشعب ضد الملك ، وهذا بعاكر قائد الطليعة يريد أن يكيد للملك . نعم إن هذه الحوادث لا تعدم رابطا يربطها ، غير أنها روابط سطحية وليست روابط البسط أو حل العقدة التى تتشعب منها القصة مما كاد يخلى القصة من التطور ويفقد القارىء الانتظار ، فكل منظر يكاد يكون مستقلا ، هذا إلى أن المؤلف قد جعل خاتمة المأساة متوقفة على نصيب رمسيس فى الحرب ، وهذا معروف للقارىء ، فكأن القارىء يعرف ما سيؤول اليه أمر العصاة ومدبرى الثورة ، وهذا ما يقضى على استمتاعه قبل نهاية القصة ، ولو أن المؤلف علق انتهاء القصة على حادثة غير هذه لاحتفظ بروعتها حتى النهاية ،

كذلك نجد فى القصة عدة مواقف قوية ، ولكن المؤلف أضعفها بفتور العبارة أحياناً وبسذاجة الحوار أحياناً أخرى ، أو بارسال الحوادث على غير ما يتفق مع الموقف وما ينتظره القارىء فى ذهنه . هذا إلى أنه فى بعض المواقف أورد حوادث ما كان يتصور وقوعها بمثل هاتيك السهولة كرجوع بنطاؤر عن فلسفته بتلك السرعة وانقياده إلى بنت أنات كأنما كانا يتباحثان فى موضوع تافه ، وكتصريح بنطاؤر بحبه إلى صديقه نبسشت دون تردد أو تحفظ ، وكسرعة انتقال وردة من الألم الشديد إلى الهدوء لدن لقاء الأميرة . . الخ . ولقد كان المؤلف يحاول تغطية هذه العيوب بحوار على لسان الأشخاص ، ولكنه فى رأيى كان يكشفها بذلك .

ولم يعجبني من المؤلف الجمع بين التأليف والتمثيل فى كتابته فكان يشير كثيراً إلى ماينبغى أن يحدث على المسرح ، وأظن ذلك من عمل المدير الفنى

ولقد قدم لكتابه بتحليل ضاف إذا قرأته عرفت القصة كلها فلن تعجب بها إلا على المسرح

ولكن هذه المآخذ على تنوعها لا تذهب ببهاء القصة ، ولا تنقصها قدرها ، ولا تضيع طرافتها ، ورجائى إلى المؤلف الفاضل أن يسابر على التأليف للمسرح ، فعنده استعداد عظيم وملكة قوية تضمن له التبرز فى هذا المضمار

الخفيف